20 me année No 1002

Le Caire 15 — 9 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ذى الحجة سنة ١٣٧١ — ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الأزهر فى مفترق الطرق

أبدا ما كان يخطر بالبال أو يقع فى الظن أن الفساد وإن طم وعم يدنو من الأزهر وهو معقل الدين، ويعلق بالعلماء وهم وراث النبوة. ذلك لأن العقل لا يجيز أن يكون المصباح الذى يهدى هو الذى يضل، وأن الإكسير الذى يشفى هو الذى يُمِل، وأن السائل الذى يطهر هو الذى يعدى! ولكن الأزهر الذى لزمناه اثنتى عشرة سنة من أوائل هذا القرن نتفقه فيه ونتأدب لم يعد هو الأزهر. والعلماء الذين كنا نأخذ عنهم الدين بالاعتقاد، والخلق بالقدوة، والعلم بالعمل، لم يعودوا هم العلماء!

لقد استجاب الأزهر الحديث لدواعى الفتنة، وتأثر العلماء الأحداث بعوامل المادة، وزُين للدينيين ما زُين للدنيويين من حب الشهوات، فتنافسوا فى المكاسب، وتفارسوا على المناصب، ورضوا بميسور العلم حتى انحصرهم الأستاذ فى المقرر، واقتصر جهد الطالب على المقروء!

من أجل ذلك كتبنا وكتب المخلصون لدين الله ولرسالة الأزهر، نصف هذه العلل، ونستطب لها بالرجاء والدعاء؛ وما كانت وجهة رجائنا، ولا قبلة دعائنا، إلا أن يقيض الله لهذا الحصن الباقى من حصون الإسلام رجلا من أهله ينقذه من العصبية المفرقة، والمادية الموبقة، والعلم الشوب، والمعلم الجاهل، والمتعلم الفج، والكتاب المعقد. ثم لاحت تباشير الفوز فى عهد الإمام مصطفى المراغى بعد أن حجبتها السحب الجون بموت الإمام محمد عبده؛ فتصارع الفساد والصلاح، وتعاقب الفشل والنجاح! ولكن الأرض كانت لا تزال نكدة فذوى الغراس وكذبت بروق الأمل

وفى السنين العشر الأخيرة اجتاحت مصر كلها من شلالها إلى دالها جائحة من طغيان القصر وجور الحكومة وعبث الأحزاب، ففسدت النعم، وصغرت الهمم، ونغلت الصدور، ووقحت الأطماع، ففزع الناس إلى الله يستهدونه الطريق، ويستمدونه المعونة. ثم رفعوا أبصارهم إلى القيادة الدينية العليا، فلم يجدوا فى الأزهر حرارة من نار سيناء، ولا شعاعة من نور حراء؛ فكادوا يضمرون اليأس من صلاح الحال، لولا أن نعش الله عاثر الأمل فاختار لمشيخة الأزهر المصلح الثالث الإمام عبد المجيد سليم

والإمام عبد المجيد يختلف عن الإمامين السابقين بأنه يؤمن بالأزهر إيمانه بالله، ويعتقد اعتقاد المؤمن بأن العمل لإصلاحه عبادة، وأن الأذى فى سبيله تمحيص. فهو يتولى مشيخته على أنها جهاد وبذل، لا على أنها منصب ومال. يتولاها بتقوى المتحنث، وزهد المتصوف، وصبر المجاهد، وفقه المجتهد. لا يراقب إلا الله، ولا يؤثر إلا الحق، ولا يتوخى إلا الصواب، ولا يبغى إلا الخير. وتلك هى الصفات التى انفرد بها هذا الإمام من بين جيله

فإذا أراد الله له أن ينجح — وفى نجاحه نجاح الأزهر — صد الرياح الهوج عن مصباحه، ودك العقبات الكؤد من طريق إصلاحه، وإلا كان الشيخ الأكبر وا أسفاه آخر شيخ يجمع الناس على فضله، ويرجون على يديه الخير للأزهر وأهله!

احمد حسن الزيات

نحو بعث جديد

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبد الله السمان

إن الحركة الموفقة هي التي يتبعها بعث، والوثبة المباركة هي التي تتبعها نهضة . ومن ألزم اللوازم لحركة الجيش بعث جديد ، بعث في الشعب والحكومة والدستور ، وبعث في الأزهر والدين ، وبعث في الأحزاب والهيئات ، وبعث في الإذاعة والمسرح ، وبعث في كل شئ يتصل بحياتنا ونهضاتنا ومثلنا العليا

فالشعب المصرى يجب أن يبعث من جديد إزاء هذه الحركة المباركة ، فقد ظل السنين الطوال الثقال لا يؤمن بغير العبودية دينا ، ولا يعتنق غير المسكنة عقيدة ، ولا يتخذ غير الصابرة والمسالمة مبدأ . وظل السنين الطوال الثقال لا يعترف له بوجود ، ولا يقر له بكيان ، لأنه آثر السكوت على الرأى الحر ، وفضل الهدوء على الإنكار على الباطل ، وقدم التوارى على تقويم الاعوجاج . وظل السنين الطوال الثقال في حضيض الفاقة ، بينما السادة الأغنياء فوق قمة من الثراء ؛ ووسط أمواج من التعاسة والشقاء ، بينما السادة الأغنياء داخل أبراج من الترف والبذخ . وظل السنين الطوال الثقال محكوما كما يحكم العبيد ، ومسوقا كما تساق الأنعام ، وتستبد به كل حكومة منحت سلطة الحكم المطلق ، ووهب لها سياط الحكم الإقطاعى الجائر . وهذه الحركة المباركة فرصة للشعب المصرى حتى يبعث من جديد ، فيكون مصدر السلطات كما تتضمنه دساتير العالم ، وتكون إرادته فوق إرادة حكومته كما هو في دول الدنيا الناهضة ، ويكون حرا متحررا لا يقر بالعبودية لإنسان ، ولا ينكس رأسه لمخلوق ، ولا يرغم على اعتناق عقيدة لا يرتضيها ، ولا على الاستمساك بمبدإ لا يرغب فيه . ولا على سلوك حياة لا يطمئن قلبه إليها

والحكومة في حاجة إلى بعث جديد ، فقد كانت من قبل أداة فاشلة يستغلها الاستعمار لمصالحه ، ويسخرها لرغباته ، ويسيرها الطاغوت المتربع على عرشه كما يهوى ويحب ، وما كان يهوى إلا الفوضى في شتى ألوانها ، وما كان يحب سوى المرج ، شأنه شأن الصبية في الأزقة والدروب ، وكانت الحكومة موظفة لدى الطبقة الأرستقراطية ترضى أهواءها ، والطبقة الرأسمالية تحرس ضياعها وتزيد في أموالها ، والطبقة المترفة العابثة تهيئ لها سبل الترف ، وتمهد لها الطريق إلى العبث ، وتجلب لها الفرق الراقصة الأجنبية على حساب الشعب المكدود حتى لا تتكبد مشاق السفر إلى أوربا ، ووعثاء الجو إلى الدنيا الجديدة ، وهذه الحركة المباركة يجب أن تضع حدا لتلك الفوضى ، فتصوغ الحكومة في قالب جديد ، حتى تفهم كل حكومة أنها موظفة لدى الشعب تعمل على إسعاده وراحته ونهضته ، وتعمل على استقراره ورفاهيته ، وتضع الأسس السليمة للعدالة والمساواة بين أفراده

والدستور في حاجة إلى بعث جديد . وحسبنا دليلا على هذه الحاجة أنه ظل قرابة ثلاثين عاما لم يقدم مصر خلالها شبرا نحو الأمام ، وأنه تضمن من المواد ما يجعل الملك في منزلة الآلهة ، وحاشيته في درجة الأحبار ، وأعضاء حكومته في صفوف الملائكة ؛ ومن المواد ما يجعل هؤلاء جميعا فوق القانون لا يسألون عما يفعلون ، ولا يحاسبون عما أجرموا . والدستور الجديد الذى يتفق وهذه الحركة المباركة يجب أن يكون دستورا حيا يحقق الخير لمصر ، والعدالة الاجتماعية لشعبها . ولا نعتقد أن ترقيع الدستور يحقق الغرض ، فحسبه من الهوان أنه دستور مرقع . ولسنا ندرى لم نهمل دستور الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وفيه غنى عن كل دساتير العالم ، ونحن أمة مسلمة لا خير فينا إذا لم نعتز بتراثنا ونعتد به

والأزهر في حاجة إلى البعث ، يجب أن يطهر من الحزبية المزيلة لأنه أكبر من أن يتحزب ، ويطهر من التعصب لأنه أجل من أن يتعصب ، ويطهر من المناورات الصغيرة حتى ينال تقدير العالم وثقة المسلمين . إن له رسالة دينية إنسانية فيجب أن يعيش من أجلها ، ويبتكر المناهج التى تحقق أغراضها . إن للشعوب المسلمة عليه واجبا ، فيجب أن يرفع مستواها وينهض بأفكارها .

والدين في حاجة إلى البعث ، لأن عهد الإقطاع والإرهاب قد جعل منه دينا هينا لينا ، وجعل منه مخدرا يخدر الفقير حتى لا يعرف حقه على الغنى ، ويخدر المحكوم حتى لا يعرف حقه على الحاكم ،

ويخدر الشعب فى مجموعه حتى لا يعرف قدر نفسه ، وحصره فى حدود التكاليف الشرعية ، وتوافه الأمور التى لا تتصل بأسسه ، حتى يظل بمعزل عن السياسة وبمعزل عن الحياة ، وبعث الدين يجب أن يقوم على عاتق الأزهر والجماعات الإسلامية الناهضة حتى يؤدى الدين رسالته التى ارتضاها الله له ، ورضيها لعباده ، والتى يجب أن تحقق العزة والسعادة لأتباعه فى مشارق الأرض ومغاربها

والأحزاب والهيئات فى حاجة إلى بعث جديد ، لأن الأحزاب السياسية لم تكن طيلة السنين الماضية سوى نوادلعلية القوم وأعيان مصر ، يدلفون إليها لاحتراف السياسة والتعلق فى حبال الزعامة التى هى أوهى من خيوط العنكبوت . ويثرثرون بين جدرانها ليلقوا بكراسى الوزارة أو مقاعد البرلمان — أما منهاج هذه الأحزاب فهو تضياع الأوقات فى غير جدوى ، وأما هدفها فهو كراسى الحكم التى تحيا وتموت عليها ، ولأن الهيئات الدينية والاجتماعية ظل معظمها مظهرا لاجوهر له ، وشكلا لا حقيقة له . وعلى الأخص الهيئات الدينية التى احترفت الظهور ، فى توافه الأمور ، والتعصب للقضايا الفاشلة . وحسبك أن تضحك من جماعة دينية ضخمة تنادى باللحية والعذبة ولا ترى الإسلام إلا منحصرا فيهما ، وجماعة ثانية تندد بالأضرحة والأولياء ولا ترى الإسلام إلا منحصرا فى التنديد بها ، وجماعة ثالثة تطارد المرأة ولا ترى فى المسلمين خيرا إلا إذا طاردوها ، ورابعة وخامسة إلى مالا ينتهى حصره من هذه الجماعات التى حصرت جهادها فى سفساف الأمور ، أما مهامها فهى أعجز من أن تجاهد فى سبيلها . ومن حق هذه الحركة على هذه الجماعات الضئيلة أن تبعث من جديد ، فتحصر جهادها فيما يقدم الإسلام وأمته ، ويحل مشكلاتها ويحقق أمانيها

والإذاعة المصرية والمسرح والسينما جميعها فى حاجة بل فى أمس الحاجة إلى البعث الجديد ، لأنها موارد طيبة ومنابت خصبة للنهوض بالثقافة والأدب والعلم والمجتمع ، فعلى الإذاعة أن تتعفف عن الأغانى الساقطة والتمثيليات الهزيلة والقصص الركيكة ، وعليها أن تسقط من برامجها التواشيح المهلهلة التى تسئ إلى الإسلام ، والأحاديث الدينية المضطربة التى تشوه جماله ، وعليها بعد هذا أن تبدأ عهدا لا تكون فيه تكية من التكايا التى تؤوى المعجزة والعاطلين . وعلى المسرح والسينما أن ينتقل إلى حياة مشرفة لا تعيش فيها الأفلام الساقطة التى تلطخ جبين الفن بالعار ، وتسود صفحته بالفضيحة ، وتنزل بمستوى الشعب إلى الحضيض . وإذا كان للرقص والمجون والعربدة أثر فعال فى نجاح كثير من الأفلام فى العهد البائد ، فلا نظن أن هذه المخازى سيكون لهاذرة من الأثر فى نجاحها فى هذا العهد المشرق ، لأن مصر اليوم فى حاجة إلى أفلام تجعل مصر فى المقدمة ، وتجلس شعبها فوق القمة ، وتعالج المشكلات المستعصية ، وتكافح الأمراض الاجتماعية المتوطنة ، وليست فى حاجة إلى الأفلام التى تثير الغرائز ، وتشجع على الرذيلة ، وترسم طرق الاحتيال والنصب للمشردين والعاطلين

نريد بعثا جديدا فى كل شئ يتصل بحياتنا وتتأثر به نهضاتنا حتى تؤتى حركة الجيش المباركة أكلها كل حين بإذن ربها ، وتثبت للدنيا أن مصر جديرة بها ، وأن شعبها خليق بثمراتها

محمد عبد الله السمان

إلى القوى الأمين
الرئيس اللواء محمد نجيب
من شيخ فى الشام

يا سيدى :

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها قد كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا

وما كان فاروق (على قبح سيرته ، وتسخيره عقله لشهوته وسلطانه للذته) رأس الشر ، بل كان ذنبا طويلا من أذنابه . وما كان فاروق أصل الفساد ، بل كان فرعا عاليا من فروعه ، سمق حتى بدا ، وبسق حتى أظل ، وإن كان بعض الشر كالعقرب ، أخبث ما فيها الذنب ، ومن الظل ظل ذو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغنى من اللهب

إن رأس الشر التربية التى صنعت فاروق . وهـذه الحياة المستهترة المنحلة التى مكنت لفاروق . ومادام الجذع قائما ، والتربة منبتة ، فإنه سيخلف الفرع المقطوع ، فروع

وما فاروق ؟ ولد نشئ على أن يعطى كل ما يطلب ، ويمنح كل ما يريد . على غير تقوى ولا حياء . ما يعصمه من خوف الله عاصم ، ولا يمنعه من هيبة الناس ما يمنع أوساط الناس ، فأدت به البداية إلى هذه النهاية . ولو كان الزمان مقبلا ، والتربية صالحة ، والأمة تقية دينة كما كانت أمة صدر الإسلام ، وربى فاروق على ما كان يربى أبنـاء المسلمين فى ذلك الزمان ، لكان (الملك الصالح) حقا

ومادام هذا الفسوق باقيا ، والتكشف والاختلاط والفساد ، ومادام فى الناس آلاف يعيشون عيش انطلاق وراء اللذة ، وسعى لنيل الشهوة ، من حل ومن حرمة

وما دام فى الأطفال آلاف يربون الآن على نحو ما ربى عليه فاروق ، فمن يأمن أن ينجم غدا أو بعد غد من ينال منهم على فساده سلطانا فيكون شرا على الناس من فاروق ؟

* * *

فإذا أردت الإصلاح يا سيدى حقا . وأنت لا شك تريده ، فاقطع أصل شجرة الفساد ، واسحق رأس الأفعى ، واستأصل بذور الداء ، فإنه لا يكفى أن تفقأ الدمل ، ولا أن تدفع (النوبة) ، إن ذلك يريح المريض ولكنه لا يشفيه . ما الشفاء إلا قطع أسباب الداء . ووقاية الجسم من عدواه ، وتقويته حتى لا تؤثر فيه العدوى ، ولا يكون ذلك إلا بمحاربة الدعارة ومظاهر الإثم ودواعيه أولا ، ثم بتشجيع الزواج الحلال ، ليغنى عن الزنا الحرام ، ثم بإصلاح المدارس ، وتنشئة الناشئة على خوف الله . وكراهة المعصية ، وعلى الرجولة والعفاف وابتغاء المعالى

ولا يقولن أحد ما شأن (شيخ فى الشام) بالإصلاح فى مصر ؛ فإن المسلمين أمة واحدة وجسد واحد . والإسلام لا يعرف هذه الحدود . وإن النصح واجب . لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. ثم إن هذا الفساد الذى نشكو منه إنما جاءنا (ولا حياء فى الحق) من مصر ، فلعل مصر إن صلحت جاءنا الصلاح من مصر ، وهذا (الشيخ) بعد ذلك كله مصرى قدم الشام جـده الأدنى ، فهو مصرى الأصل ، شامى المولد ، عراقى تارة ، حجازى تارة

فى الشام أهلى وبغداد الهوى وأنا بالرقتين وبالفسطاط إخوانى

* * *

فى مصر يا سيدى ست مدارس تعلم الناس الفساد : مدرسة التكشف فى الحدائق والشوارع والحفلات والشواطئ ، ومدرسة المجلات ، ومدرسة الإذاعة ، ومدرسة الأفلام ، ومدرسة الملاهى . وهذه المدارس الرسمية التى وضع بذور الشر فيهـا (دنلوب) ، ورعاها حتى نبتت من بعده (دناليب ...) !

أما التكشف فلقد عشت فى مصر دهرا ، ورأيت منه عجبا ، أفخاذا بادية ، وعورات ظاهرة ، فى حديقة الحيوانات وسائر الحدائق ، وعلى العربات البلدية ، وفى الأعراس التى تقام على السطوح . ولقد رأيت والله رجالا يستحمون عراة لا يستره شئ تحت جسر الملك الصالح حيث يلتقى طريقان من أعظم شوارع مصر ، طريق الجيزة وطريق الفسطاط ، وخطا (ترام) وسبيلا (أتوبوس) ، ورأيت بنتا تنزل فى الماء كما خلقها الله — أى والله العظيم — لتغسل طبق فجل لتبيعه . أما العرى على الشواطئ فشئ أفظع من أن يوصف ، وإن كنت زرت مصر مرارا وأقمت فيها سنين ولم أره بحمد الله قط

أما المجلات الأسبوعية المصورة فلقد كانت معولا لهدم الأخلاق، سارت على طريق معبد، وفق خطة موضوعة، لإضعاف الأمة بصرف شبابها إلى الشهوات، وشغلهم بالغرائز الجنسية، عن الجهاد الوطنى، والتسلح بالرجولة والقوة والصبر .. ومحاربة المستعمر. ولقد بلغت منا هذه المجلات أكثر مما بلغته جيوش الاحتلال جميعا، وكانت أنفع لأعدائنا من كل ما ساقوه إلينا من حملات، وما أنفقوه على حربنا من أموال

ثم جاءت هذه الأفلام:

هذه الأفلام التى بحت الحناجر، وربت الأقلام، وامتلأت الصحف بالكلام عنها، وبيان شرها، وسوء أثرها فى نفوس رائيها، أفلام لا موضوع لها ولا حوار، ولا تمثيل فيها مثل تمثيل الناس، ولا إخراج مافيها إلا التخنث والخلاعة والسقوط والخزى ورقص البطن، والتهريج[1] البارد، والتقليد السمج، حتى صار لقب المصرى فى فلم علامة على سقوطه وانحطاطه، وصار المهذب من الناس والشريف ومن يعرف لنفسه قدرها يتحامى هذه الأفلام ويحمى أولاده منها، وصار من المعروف أنه لا يرتاد دورها إلا العوام والسوقة والرعاع وسفلة الناس، ولا يخرج مع ذلك الكثير منهم إلا وقد ملأ نفسه التقزز والاشمئزاز و(القرف...)

إن هذه الأفلام دعاية على مصر لا لمصر، لو أنفق اليهود نصف أموالهم ما استطاعوا أن يصلوا إلى بعضها، وهدم لكل ماتبنيه المدارس وما يقيمه المعلمون والمصلحون، ودرس فى التخنث، وسقوط الهمة، والبعد عن عزة الإسلام وخلائق العرب، وفصاحة اللسان، والرجولة والإباء. وإن محاربتها أوجب من محاربة الكوليرا واليهود، لأن الكوليرا تفتك بالأجساد، وهذه تفتك بالأعراض والأخلاق، واليهود وراء الحدود، وهذه منا وفينا

أما الإذاعة فقد كان من الممكن أن تكون مدرسة ليس لها نظير وأن نجعل منها أداة للاصلاح لا يستعصى عليها فساد، ولكنا لم نتخذها مع الأسف إلا أداة للفساد. ولم نجد شيئاً نذيعه فيها إلا الأغانى، أغان دائما وأبداً، كأننا أمة من الصراصير فى الصيف لا تعرف إلا الغناء.

[1] الكلمة عربية

أغان ليس فيها نصاعة البيان، ولا روعة الأدب، ولا حلاوة الأنغام، ألفاظ عامية غثة باردة، لا وزن لها ولا رنين ولا قافية، كلها دعوة إلى الشهوة، وإثارة للغريزة، وتصريح بطلب الفاحشة، ولو شئت ضربت الأمثال، ولكنى أنزه قلمى عن أن يجرى بألفاظها، أو أن يشرف بذكر اسمه أحداً من أصحابها

لقد كانت الأغانى الأولى، أغانى حب وشوق، ونداء روح لروح، ومناجاة قلب لقلب. وهذه صرخة داعرة من أفواه فاجرة

ولقد سكتنا من عجزنا وضعفنا عن إنكار منكرات الملاهى والحانات، وحمينا أنفسنا منها وأهلينا، فما معنى أن تأتى الإذاعة فتنقلها إلى دورنا رغما عن آنافنا، وتسممنا ما يكون فى الأفلام الخبيثة من أغان، وأن تنقل إلينا حفلات آثمة بكل مافيها. وإن نحن سددنا الراد عنها جاءنا الصوت من بيوت الجيران الذين يفتحونه على مصراعيه، فيزعج كل راد دائرة قطرها مئة متر. وما معنى أن نحرم للنام إلى ما بعد نصف الليل لنسمع هذيان حفلة من هذه الحفلات، أو غناء مغنية من المغنيات؟ أليس فى الناس مرضى؟ أليست لنا أشغال؟ ألا نحتاج إلى النوم؟ انعطل أشغال النهار كله أو نقضيها مرضى لأن الآنسة أم كلثوم كانت تغنى طول الليل؟ وإن كانت ليلة جمعة، ليس بعدها عمل . . . هل كانت ليلة الجمعة فى نظر الإسلام للطاعة والقيام، أم لسماع أم كلثوم؟

وما معنى أن تذاع كل أغنية مرة ومرتين وعشرا وعشرين حتى مللنا ونشعر أنها خرجت من أنوفنا، وهبها أغنية جيدة فهل فى الدنيا ألذ من الفرانى[1] والبقلاوة والكنافة وما شئت من هذه الألوان. أطعم رجلا منها أبدا، لا تطعمه غيرها فى الصباح والظهر والمساء يشتهى الخبز والبصل ... ثم إنها كانت مدرسة شر لأطفالنا، فما منهم إلا حافظ لبعضها بدل حفظه آيات الكتاب، والحكم والآداب. وصار أبناؤها يرددون أسماء المثلين والممثلات والمغنين والمغنيات، عوضا عن ترديد أسماء الأبطال والعلماء.

* * *

بقيت المدارس يا سيدى. وأنالا أتكلم الآن عن برامجها وإهمال تعلم تاريخ الإسلام، وجغرافية بلاده؛ فإن لذلك حديثا آخر طويلا، ولكنى متكلم عما يتصل منها بالفساد الخلقى وهو

[1] الفرانى (ج فرنية) الكاتو بفنانه

التيتـــــوية

للدكتور عمر حليق

ليست التيتوية (نسبة إلى المارشال تيتو عاهل يوغسلافيا الشيوعية اليوم) مجرد خلاف عارض بين دولتين شيوعيتين بواعثه خصومة سياسية أو حزازات شخصية بين ستالين وتيتو ، أو اختلاف على زعامة الشيوعية العالمية التي اشترك هذان القطبان الماركسيان في خدمتها سنوات طوالا ، أداتها مؤامرة مزيفة بين قطبين شيوعيين يخدمان هدفا واحـــدا ؛ إنما هي « ردة » ايديولوجية جذورها في خلاف فكري عميق على مسألة دقيقة في التعاليم الماركسية تتعلق بتحديد العلاقات بين الدول اتخذت الشيوعية نظاما لها — تحديد يفسد على موسكو (وهي كعبة الشيوعيين) مركزيتها وسيطرتها المباشرة على النشاط الشيوعي في كل مكان ، ويوفر للدول الشيوعية خارج الاتحاد السوفييتي حرية في التصرف تخالف مبدأ الوحدة الشيوعية العالمية وما تدعو إليه في تحالف وتعاون وتضامن في المبدإ والسلوك السياسي بيت بعضها بعضا وفي علاقاتها مجتمعة مع العالم الخارجي

ولعل في استعراض حركة المارشال تيتوا الانفصالية عن موسكو ما يلقي ضوءا نافعا على ناحية هامة في العقلية الشيوعية ومستقبل نشاطها في الشؤون العالمية

* * *

انفردت يوغسلافيا من بين الأمم الأوربية خلال الحرب العالمية الأخيرة بأنها الأمة الوحيدة التي استطاعت أن تقهر الاحتلال النازي قبل أن تلوح بوادر الهزيمة على ألمانيا النازية . في حين أن حركات المقاومة السرية في الدول الأوربية التي احتلتها جيوش هتلر كانت حركات ضعيفة مقيدة النشاط محدودة الأثر .. كانت حركة التحرر من الاحتلال النازي في يوغسلافيا واسعة النطاق فائقة النشاط عمت الأكثرية الساحقة من الشعب اليوغسلافي ومكنته من أن يحتفظ بأجزاء واسعة من بلاده حرة طليقة لم تقو على استعبادها القوات النازية المرابطة في دساكر يوغسلافيا ومعاقلها الرئيسية . وكان عزم اليوغسلافيين وبأسهم

ما عقدت له هذا القال

المدارس ياسيدي تفسد بناتنا ، وتعلمهن التكشف وتسوقهن إلى شفا المحرمات . وكم من متسترة ما تعلمت السفور إلا في المدارس ، وكم من متمسكة بعادات البلاد وأوضاع الإسلام . ما جرأها على الخروج عليها إلا المدارس

أليست المدارس تجبر البنات البالغات على كشف أفخاذهن في درس الرياضة في المدرسة ؟ ألا يأتي المفتش مثلا فيراهن على هذه الحال ؟ ومن في المدرسة من المعلمين الرجال ؟ ! أليست المدارس تعلمهن الرقص التوقيعي ، وفي الشام رقص السماح . وهو طريق إلى الفاحشة ، وباب من أبواب الفساد

ألا تكشف العورات في العرض الرياضي العام أمام الآلاف من الرجال وتأتي هذه المجلات الآثمة فتنشر صورة ذلك في الدنيا كلها ، حتى يراها كل من لم يكن رآها

والاختلاط في الجامعة ؟ هل يرضى به الإسلام ؟ هل تقره سلائق العروبة ؟ أما رأيتم من مفاسده وشروره ما لا يجوز إبقاءه يوما واحدا ؟

وهذا طرف مما نشكوه من المدارس ، ولقد جاء مرة وزير للمعارف صالح مصلح اسمه مرسي بدر . شرع في الإصلاح ، فخاف لصوص الأعراض أن يسد دونهم الأبواب والنوافذ ، فقاموا عليه حتى أخرجوه . فخذ ياسيدي بالإصلاح فهذا طريقه ، واقض على الفساد فهذا رأسه ، واقطع شجرة الشر من جذورها ، فإن الرجاء منوط بك ، والأمل معقود عليك ، وإلا تستطع ذلك لم يستطعه أحد بعدك

أخذ الله بيدك ، وسدد خطاك ، وجزاك عن الحق والحرية والشعب والأخلاق خير الجزاء ، وجعل كل رجال الانقلابات ، وأصحاب السلطات ، مثلك

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

دمشق (ع)

فى مقاومة الاحتلال الألمانى على أشده حتى بعد أن رضيت الحكومة اليوغسلافية الشرعية آنئذ أن تهادن النازية وتتعاون معها وتخضع لمشيئتها . وقد حقق هذا العزم لحركة التحرر جيشا منظما وجهازا إداريا انتزع السلطة من الحكومة اليوغسلافية الشرعية التى أصبحت آلة فى يد القوات النازية المحتلة ، وما إن لاحت بوادر الهزيمة الألمانية فى الميادين الأوروبية الأخرى حتى أسرع هذا الجيش اليوغسلافى الحر وجهازه الإدارى المنظم فطرد الألمان إلى غير عودة ، وأقصى معهم الحكومة اليوغسلافية الشرعية التى تعاونت معهم — بما فيها النظام الملكى الذى فر من الميدان فى وقت مبكر

ومع أن حلفاء الغرب كانوا يمدون جيش التحرر اليوغسلافى ببعض الذخيرة والعتاد العسكرى والمعونة الأدبية إلا أن الفضل فى انتصاره يعود إلى وطنية الشعب اليوغسلافى وتضحيته فوق كل شىء آخر . وعلى ذلك ظل اليوغسلافيون مؤمنين بأن تحرير بلادهم من سيطرة النازية كان مجهودا يوغسلافيا بحتا لا فضل لأحد فيه — لا لحلفاء الغرب ولا لروسيا السوفيتية

إلا أن انشغال ستالين ومكتبه السياسى بالحرب النازية ومعارك الشتاء على حدود موسكو ولينتغراد لم تله صناع السياسة الشيوعية الروس عن مراقبة مستقبل القارة الأوروبية — ومستقبل يوغسلافيا على وجه الخصوص من حيث أنها منفذ حسن لمياه البحر الأبيض المتوسط الدافئة على رمية حجر من الشاطئ الأفريقى الذى كان ولا يزال يحتل مركزا هاما فى خطط العسكريين والمسؤولين عن سياسة الحرب فى التاريخ المعاصر . أضف إلى ذلك أهمية اكتساب بلد كيوغسلافيا كقاعدة شيوعية فى منطقة البلقان التى كانت ولا تزال حدا رئيسيا من حدود المجتمع الشيوعى الأكبر التى نصبت روسيا السوفيتية نفسها وكيلة بتشييده محققة بذلك تعاليم ماركس وشروح لينين وستالين عليها مما لا يتسع المجال فى هذا المقال لاستعراضه

وقد ساعد روسيا السوفيتية على دوام الاتصال بالتطورات فى الوضع اليوغسلافى خلال الحرب العالمية الأخيرة ذلك النشاط الواسع الذى قامت به العناصر الشيوعية اليوغسلافية فى محاربة الاحتلال النازى متعاونة مع العناصر الوطنية اليوغسلافية الأخرى على نحو مافعلته العناصر الشيوعية فى الصين عندما تآلفت مع العناصر القومية فى محاربة الاستعمار اليابانى وغزوه المسلح للقارة الصينية

ولقد لعبت الحركة الشيوعية فى يوغسلافيا أدوارا مماثلة لتلك التى قامت بها الحركة الشيوعية فى الصين من حيث أنها تسربت إلى القوات المسلحة والجهاز الحكومى والسلطة الشرعية التى كانت تحارب الاحتلال اليابانى ، فما إن تمت هزيمة النازيين حتى قامت العناصر الشيوعية فى يوغسلافيا باستخلاص الحكم والسلطة من الحكومة الشرعية والقضاء على النظام الملكى والعناصر التى كانت تسانده؛ وتلك التى تعاونت مع الألمان الغزاة . وكان المارشال تيتو — زعيم الحركة الشيوعية فى يوغسلافيا — وثيق الصلة بستالين وبالقيادة العليا للحركة الشيوعية العالمية التى كان المارشال اليوغسلافى من أبرز أعضائها ، إذ سبق له أن مثلها لدى الجيش الشيوعى الإسبانى خلال الحرب الإسبانية الأهلية التى انتهت بفوز الجنرال فرانكو على خصومه الشيوعيين

وأخذ المارشال تيتو يطبق فى يوغسلافيا ما تلقنه من تعاليم ماركس وشروح لينين وستالين عليها عندما كان المارشال لاجئا سياسيا فى موسكو وصديقا شخصيا لستالين

وفى يونيه عام ١٩٤٨ — بعد ثلاث سنوات من استتباب النظام الشيوعى فى يوغسلافيا فوجئ العالم بخصومة علنية بين تيتو وستالين ، وقطيعة حادة بين روسيا السوفيتية ويوغسلافيا الشيوعية ، شغلت العالم فى تلك الآونة وكانت حديث الناس فى كل مكان

فلأول مرة فى تاريخ الحركة الشيوعية يشق عضو من أبرز أعضائها عصا الطاعة على موسكو ويعرض نفسه وبلاده لخطر « التأديب » الروسى الذى كانت جيوشه على حدود يوغسلافيا فى البلقان وأوربا الوسطى الخاضعة للنفوذ السوفيتى

ولكن يوغسلافيا ومارشالها استطاعا أن يحتفظا برأسيهما عائمين فوق الماء، وأن يضمنا لونا من المؤازرة العسكرية والسياسية من المعسكر الغربى — خصم الاتحاد السوفيتى — رغم أن يوغسلافيا ظلت بلدا شيوعيا فى أنظمته ومبادئه وأهدافه ومراميه

ولأول مرة سجلت قواميس اللغة كلمة « التيتوية » علما على

الشيوعية « القومية » التي تعيش على نظام ماركسي بحت، ولكنها لا ترتبط بالحركة الشيوعية العالمية عن طريق مركزها الروحي والإداري في موسكو

وليس المهم أن نتعرف هنا دقائق المراحل التي تمت بها هذه القطيعة بين البلدين الشيوعيين — بين موسكو والمارشال تيتو ربيبها السابق (١)، إنما المهم أن نأخذ بما يؤكده معظم الخبراء في شؤون يوغسلافيا من أن هذه القطيعة قد تمت وأنها ليست مزيفة كما يعتقد بعض الناس

ووجه الخطورة في هذه القطيعة أنها تستند إلى خلاف جوهري على مبدأ أساسي من مبادئ الفكر الماركسي.. ألا وهو تحديد السلطة المركزية التي يمارسها « الوطن الأم » وهو أول بلد يتوطد فيه النظام الشيوعي — على بقية الدول الشيوعية التي تنتمي إليه بالولاء وتشاركه في السلوك وتؤمن بما يؤمن به من ضرورة تشييد المجتمع الشيوعي الأكبر في هذا العالم المترامي الأطراف

ذلك لأن المارشال تيتو وأعوانه في الحكم لا يزالون يؤمنون ويطبقون التعاليم الشيوعيـــة كاملة في يوغسلافيا ، ولا يزالون يعتقدون بأنها أفضل النظم للعالم بأسره ، ولا يزالون موافقين لمناصرة الحركات الشيوعية في كل مكان كما تشهد بذلك مواقف الحكومة اليوغسلافية في هيئة الأمم وفي خارج هيئة الأمم في دفاعهم عن وجهة النظر الشيوعية في معظم المشاكل الدولية التي دعيت يوغسلافيا لإبداء رأي فيها ، أو تولت — غير مدعوة — لإبداء الرأي، (٢) ولكن المارشال تيتو يرفض أن يمتثل لزعامة موسكو وهذا الرفض هو سر القطيعة بين تيتو وستالين

ومما لا ريب فيه أن هذا الخلاف مبعثه حدة القومية اليوغسلافية ورفضها الانقياد لدولة أجنبية حتى لو كان في ذلك خروجا على المبدإ الماركسي الذي يصر على العمل الموحد والتناسق الدقيق بين الوطن الشيوعي المركزي « وهو الآن الاتحاد السوفيتي » وبين الدول الشيوعية المنتمية إليه كما يعترف وزير الدولة اليوغسلافي « ميلوفان دجيلاس » في عدد ابريل سنة ١٩٥١ في مجلة الشؤون الدولية اللندنية

ثم إن هناك تطورا آخر على قسط كبير من الأهمية في مستقبل الحركة الشيوعية العالمية عقيدة وتطبيقا لتطور مجسم عن القطيعة بين موسكو والمارشال تيتو ، وهو أمر يمس صميم التعاليم الماركسية وشروح لينين وستالين عليها — وهي إنجيل الشيوعيين في كل مكان . فالحركة الشيوعية في يوغسلافيا تمر الآن في انقلاب فكري خطير مبعثه نضال المارشال تيتو لبناء المجتمع اليوغسلافي على أسس ماركسية صادقة دون أن ينتظر العون والتأييد والإرشاد والتوجيه من الاتحاد السوفيتي ومن « الكومنفورم » (٣) الذي هو في الواقع دائرة عظيمة النفوذ تابعة لوزارة الخارجية الروسية . ولقد وجد المارشال تيتو نفسه منفردا في مسعاه يواجه تحديا عنيفا في منطقة النفوذ الشيوعي في أوربا الشرقية والبلقان ويتقاعس عن الارتماء كليا في أحضان المعسكر الغربي

ولكن الغزل السياسي والدبلوماسي الذي أخذ يزداد في الآونة الأخيرة بين يوغسلافيا وبين دول أوربا الغربية وأمريكا الشمالية شق الطريق إلى صميم المجتمع اليوغسلافي الشيوعي وحمل إليه ألوانا من الفكر والأدب والفن الغربي « الرأسمالي » فأوجد تشويشا في الفكر والثقافة والعقيدة الشيوعية السائدة بين ولاة الأمور في يوغسلافيا وبين طبقات المجتمع اليوغسلافي . فالأفلام الأمريكية ، والقصص والبحوث الفرنسية ، والصحف والمجلات البريطانية ، وجوقات الموسيقى والمسرح الأوربية والأمريكية .. أصبحت الآن أشياء مألوفة لدى المواطنين اليوغسلافيين ، بعد أن انقطعت صلتهم بالحياة والفكر الغربي عشر سنوات طوال

ونتج عن هذه الغزوة الثقافية أن تأثر عدد من أبرز أعضاء

(١) أصدرت جامعة هارفارد مؤخرا دراسة ضافية عن هذا الموضوع

(٢) تصدر الحكومة اليوغسلافية مجلة خاصة بالشؤون الخارجية تسجل فيها آراءها في المشاكل الدولية وتطبع بغير اللغة اليوغسلافية للاستهلاك الخارجي منافسة بذلك مجلة (الكومنفورم) لسان حال القيادة الشيوعية العالمية

(٣) الكومنفورم هو الاسم الجديد للقيادة العليا للحركة الشيوعية العالمية . وكانت هذه القيادة تعرف إلى ما قبل الحرب العالمية الأخيرة باسم آخر هو « الكومنترن » إلى أن ارتأى ستالين إلغاء هذه القيادة دفعا لأذى الدول الرأسمالية في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأخيرة وخلال سنوات الحرب . ثم أعيد تشكيل هذه القيادة للحركة الشيوعية العالمية في سنوات ما بعد الحرب وأطلق عليها اسم « الكومنفورم » ولها لسان حال يصدر بانتظام في لغات أجنبية عديدة

الحزب الشيوعى فى يوغسلافيا ، وصناع السياسة وقادة الفكر فيها بهذه التيارات الفكرية ، وظهر هذا التأثير فى موجات من النقد الخافت الموجه إلى النظام الشيوعى وأساليب تطبيقه ؛ الأمر الذى أزعج المارشال تيتو وأعوانه الخلص من الماركسيين المتعصبين للتعاليم الشيوعية . وقد أعرب عن هذا الانزعاج المارشال نفسه فى خطاب ألقاه مؤخراً (٤) ، ندد فيه بهذه الشعوبية وود لو أن يوغسلافيا طهرت نفسها من هؤلاء الشعوبيين ، حتى لو استدعى ذلك إقصاء مائة ألف شخص من عضوية الحزب الشيوعى .. وهذا تعبير يعكس ما يعترى المارشال من قلق وانزعاج

وكرر (موشى كرولجى) وزير خارجية تيتو هذا التنديد فى تصريح آخر حذر فيه هؤلاء الشعوبيين بأن من حق الدولة الشيوعية ومن واجبها أن تضع حدا للتيارات الشعوبية التى أخذت تنتشر فى أوساط المجتمع اليوغسلافى بفعل البضاعة الفكرية الواردة من أوربا الغربية وأمريكا الشمالية

وقد عزز المارشال تيتو القول بالعمل ، فأخذ يقصى عن مراكز الحكم نفرا من أهم أعوانه من الذين ألموا بهذه الشعوبية لكنه لم يستطع أن يضع حدا لهذا الاتجاه الطارئ ، فلم يفرض رقابة على البضاعة الفكرية الواردة من أوربا الغربية وأمريكا الشمالية خشية أن يفقد عطف المعسكر الغربى بعد أن اختار القطيعة التامة مع المعسكر السوفيتى

ولم يجد تيتو بدا من أن يلجأ إلى المساومة . فاختار نفرا من قادة الفكر الشيوعى فى يوغسلافيا وكلفهم بوضع تفسير جديد للتعاليم الشيوعية يوفق بين جوهر الفلسفة الماركسية وبين بعض النظريات والمبادئ السياسية والاقتصادية والثقافية التى تعيش عليها الدول والمجتمعات فى أوربا الغربية والعالم الجديد (٥) وتوخى هذا التفسير الجديد أهدافا محدودة منها التأكيد بصلاح الشيوعية لتشييد المجتمع المثالى ليوغسلافيا ولجميع الشعوب ومنها رفض أساليب ستالين ومكتبه السياسى وسياسة « الكومنفورم » لبناء المجتمع الشيوعى . انتقدها انتقادا لاذعا ووصف الاتحاد السوفيتى بأنه دولة استعمارية سلاحها البطش والعدوان

ومن هذه الأهداف كذلك تحرير الجهاز الحكومى فى يوغسلافيا الشيوعية من المركزية الصارمة ، واقتباس نواح من فن الإدارة «الديمقراطية» المصطلح على اتباعها فى الغرب ، بحيث تنتفى من المارشال تيتو وحكومته التهم « الديكتاتورية » الموجهة اليه من أوساط الغرب ومن بعض الأوساط اليوغسلافية التى تأثرت بالغرب وآرائه ومعتقداته وتحليلاته السياسية عن الوضع اليوغسلافى

وأخذ التفسير اليوغسلافى الجديد للشيوعية يتفلسف ما استطاع ليجعل من المارشال تيتو صورة تخالف الصورة المعهودة فى الغرب عن ستالين ؛ وهى صورة الحاكم المستبد الذى لا مرد لأمره ، والذى يستند فى تنفيذ مآربه إلى جهاز دقيق من البوليس السرى ، فيتعقب الناس ويسترق آراءهم ويبطش بهم إذا ألمت بهم شعوبية أو أضمروا سوءا للعهد القائم

وخلاصة القول فى هذه الإيديولوجية الشيوعية الجديدة التى يحاول تيتو بواسطتها التوفيق بين ماركسيته ورأسمالية أصدقائه الجدد فى المعسكر الغربى .. أنها كما قال وزير الدولة اليوغسلافى « ميلوفان دجيلاس »

«استنباط فكرى لاسابق له . فبلادنا الصغيرة (يوغسلافيا) بلاد جريحة ولم يكتمل نموها بعد. وعليها (٦) أن تناضل لا لتنمية مرافقها فحسب بل لصيانة كيانها القومى »

* * *

أليست هذه المحنة التى دفع إليها الشعب اليوغسلافى أشبه بالمحن التى تنتاب معظم البلدان فى آسيا وفى شرقنا الأوسط ؟ — بلاد متخلفة تحاول أن تنمى مرافقها وتقوى كيانها القومى فى آن واحد ، وفى وجه تيارات سياسية واقتصادية وثقافية تهب عليها من الفريقين المتخاصمين اللذين يهيمنان على مقدرات العالم هذه الأيام

نيويورك

عمر حليق

(٤) ابريل سنة ١٩٥٢ فى حفل من ناشئة اليوغسلافية

(٥) فى بحث عن « آراء حول تيتو » نشرته مجلة الإيكونومست البريطانية فى عدد ٣١ مايو سنة ١٩٥٢

(٦) الإيكونومست ٣١ مايو سنة ١٩٥٢

رحلة أبي الطيب
من مصر إلى الكوفة

للأستاذ أحمد رمزي

تتمة البحث

وكنت إذا يممت أرضا بعيدة ... سريت فكنت السر والليل كاتمه

شعوران قد تملكا قلب أبي الطيب في رحلته ، وأعترف بأني أشاركه فيهما : شغفه بالبادية والتغني بمحاسنها ولياليها ، ومقته للظلم والطغيان ، فهو لا يذكر أيامه بمصر إلا مقرونة بالألم والحسرة ، ولا يمر بعقبة أو يخرج من أمر مدلهم ، إلا عد ذلك نصرا على كافور وظلمه وطغيانه ، ولا يترك مناسبة دون التغني بالبادية

إنك لا تشعر بشعور أبي الطيب إلا إذا عشت بالبادية ، ورأيت سماء الصحراء القمرة أو لياليها التي تسطع فيها النجوم . إنني أذكر ليلة مقمرة في وسط الصحراء كدت أقرأ فيها على ضوء القمر صفحة من كتاب . ولقد تركت هذه الرحلة برغم مصاعبها أكبر الأثر في نفس أبي الطيب ، حتى أنه بعد مضي أكثر من سنتين تقرأ له في قصيدة وضعها سنة ٣٥٢ هـ أبياتا تشعرنا بحنينه الذي ملأ قلبه وقت السفر إذ قال يذكر مسيره من مصر ويرثي أبا شجاع فاتكا :

حتام نحن نساري النجم في الظلم ... وما سراه على ساق ولا قدم
ولا يحس بأجفان يحس بها ... فقد الرقاد غريب بات لم ينم

وهو مع ما أوتيه من نصر لتغلبه على الصعاب ، يذكر حر الشمس في وسط القيظ ، طول أيام السفر في الفيافي فيقول :

تسود الشمس منا بيض أوجهنا ... ولا تسود بيض العذر واللمم

ثم تجده لا ينسى مدح المطايا التي لولاها لما خرج من مصر بعد ما لقيه من الظلم والعنت فيها :

لا أبغض العيس لكني وقيت بها ... قلبي من الحزن أو جسمي من السقم

فكأنه يسير في تفكيره ليستعيد ما مر به من ألمه وأحزانه وهو الذي سبق له أن قال وهو بالفسطاط :

أقمت بأرض مصر فلا ورائي ... تخب بي الركاب ولا أمامي
قليل عائدي سقم فؤادي ... كثير حاسدي صعب مرامي
عليل الجسم ممتنع القيام ... شديد السكر من غير المدام

فلا غرابة إذن أن مطلع جبال حسمى قد غمر قلبه ، وأن رؤيته لتلك الشعاب قد نفخت فيه روحا جديدة ، بعد ما لقي من نصب ومتاعب في رحلته ؛ وبعد ما تحمل في مصر من ألم نفساني ومرض أضنى جسمه

إن مناظر الجزيرة وجبال حسمى قد ملأت نفسه حبورا وجعلت منه إنسانا آخر . نرى ذلك في شعره ونحس معه أحاسيس الذي خرج من سجن وانطلق للفضاء .. ولا ننس أن بين حسمى ووادي القرى ليلتان ، وبين الأخير والمدينة ست ليال (١)

ولا عبر هذا الشعور دون أن يعتريه انفعال آخر هو إحساسه بالنصر والغلبة على كافور وكيده ، وأنه رفض أن يقبل الذل على يديه ، فهاهوذا قد ترك دنيا الظلم والظلام ، وذلك الوسط الذي قال عنه « كأن الحر بينهم يتيم » وقال فيه عن كافور « غراب حوله رخم وبوم » وهناك انطلقت شاعريته في الكوفة فقال في مواجهة الأحداث وليشهد الدنيا على انتصاره

لتعلم مصر ومن بالعراق ... ومن بالعواصم أني الفتى
وأني وفيت وأني أبيت ... وأني عتى على من عتا
وما كل من قال قولا وفى ... وما كل من سيم خسفا أبى

وهو شعر يبلغ فيه النهاية ويترنم به من كان مثلي قد عانى الشدة وألم الاضطهاد ووقف أمام الظلم . رحم الله أبا الطيب وطيب ثراه ! أني أعد هذه القصيدة قطعة موسيقية من أروع ما أنشده هذا الشاعر العظيم . ولقد كنت ضحية للظلم يوما ، وتنكر لي أقرب الناس إلي ، وشعرت بشعور أبي الطيب ، وأقمت مدة وأنا أترنم بهذه الأبيات ، فأشعر بنفسي وقد قويت ، وأستمد منها شجاعة وصبرا .. وهكذا يحيا شعر أبي الطيب في نفوس من يفقه أمر المتنبي ومن عاش عيشته ومن انكوى بنوع من الظلم يشبه ما أصاب شاعر العرب العظيم

وأقسم بالله إني لأتحين الفرص لرؤية حسمى العالية الأطراف

(١) ياقوت جزء ٣ صفحة ٢٧٦

والتى قيل أنلا مثيل لها فى الدنيا ، هذه الجبال الممتدة على خليج العقبة الملساء الجوانب ، والتى إذا أراد الناظر أن يمتع نفسه بالنظر إليها وإلى قنة منها ، رفع بأبصاره إلى السماء

إنها أوحت لأبى الطيب بالكثير من شعره عن نفسه ، وأعذب الشعر ما تحدث به الشاعر عن أحاسيسه ، والتنبى إعصار هائل من أين أتيت إليه ، فهو عظيم فى حجمه وجبروته ، ولكن هذا الإعصار وسط الأدب العربى ، بلغ القمة وجاوز حدود العظمة حينما سجل بشعره آلامه وأحزانه وفرحه وغبطته ويوم انتصاره

وطابت حسمى لأبى الطيب فنزلها وأقام بها شهراً . أليست مواطن الأفذاذ من قبائل العرب ، التى لم تعرف الخنوع ولا الخضوع، والتى على رغم قربها لملك كافور لم تسمح لنفسها أن تقبل ظلمه وجبروته وطغيانه

ما بين مدين وتبوك وامتدت إلى أذرح أو أذرع ، واحتلت عاملة جبلها المعروف باسمها ، من بحيرة طبرية إلى البحر

وبقيت جبال حسمى بين فزارة وجذام . ولما نزلها أبو الطيب وارتاحت نفسه إليها ، لم تتركه دسائس كافور ، وهو الذى عمل حسابا له فتحاشى أقرب الطرق إلى حسمى خوفا من كمين قد رصده له فى طريق نزوله من رأس النقب إلى عقبة إيليا ، واضطر أن يسلك طريق الشام أولا ثم بنكبٍ من تربان إلى غرندل ثم جنوبا إلى منازل جبال حسمى

أقول إن صاحب مصر أبى إلا أن ينغص عيش أبى الطيب وأن يتتبعه إلى الأطراف البعيدة ، فكتب إلى رؤساء العرب ووعدهم وواعدهم، وبعد مضى شهر ظهر لأبى الطيب فساد نية عبيده وجاءت الحادثة معوردان بن ربيعة من قبيلة طئ ، وهو الذى سمع



جاء فى كتاب الهمدانى(٢) أن إرم وحسمى والبياض هى مساكن من تشام من العرب الأقحاح ، وقد سكنت لخم التنازل بين الرملة ومصر (الجفار) وطرق جبال الشراة ، أما جذام فكانت تسكن

بأن لأبى الطيب سيفا مذهبا ، فأخذ يلح فى أن يريه إياه ، وأبو الطيب يحاول التخلص منه ، لأنه سيف يعتز به ويحرص عليه ، فجمل الطائى يحتال على العبيد الذين فى خدمة أبى الطيب ويحرضهم عليه طمعا فى الحصول على السيف .

(٢) الهمدانى صفحة ١٢٩

وهنا اكتشف أبو الطيب أن أبا المسك صاحب مصر قد كاتب العرب الذين حوله ، ولم يبق هناك مفر من الرحيل ، فأرسل من يثق به إلى بنى فزارة وبنى مازن ، وإلى شيخ من ولد هرم بن قطبة . ولما أتاه الخبر بقبوله النزول لديه شد ليلا على الإبل وجنب الخيل ، وسار تحت كنف الليل على طريقته لما غادر الفسطاط والقوم لا يعلمون برحيله ، وكان يقصد تضليلهم إذا حاولوا القبض عليه ، كما ضلل من قبل جماعة كافور . ويظهر من تصرفاته أنه كان على علم وإلمام بطرق البادية ، ومسالك البلاد وأسرارها ، بدليل أنه اتخذ السير فى طريق البياض وسار فيه ليلا حتى رأس الصوان ، وهذا الدرب خطير يحتاج فيه الراحل إلى الخفارة لتعذر الأمان فيه وهو الطريق الذى يسلكه من يرحل من تيماء ووجهته الكوفة فيمر يسرة فيما يلى البياض ثم يخترق ديار ذبيان ، فمنازل كلب فى صحراء السماوة ثم الدهناء ، فإذا مر منها واجهه نخل الفرات .

وما وصل أبو الطيب إلى رأس الصوان حتى انكفأ عائداً إلى الشمال مرة أخرى ، محترسا من أن يقع على كمين إذا سار فى الطريق الأول

وفى صفحة ٤٩٥ من الديوان « وسار أبو الطيب حتى نظر آثار الخيل ولم يجد مع فليتة خبرا من العرب التى طلبها فقال له اخرق أو احرف بنا على بركة الله إلى دومة الجندل؛ وذلك لأنه أشفق أن تكون عليه عيون بحسمى قد علمت أنه يريد البياض ، فصار حتى انحدر إلى الكفاف فورد البويرة بعد ثلاث ليال

ذكر ياقوت أن البويرة موضع بين وادى القرى وبين بسيطة الواقعة فى طريق الكوفة

ومن ذلك يتضح أن أبا الطيب أقر فى نفسه طريق السفر فجعل : أولا وجهته دومة الجندل

ثانيا تحاشى العودة إلى جبال حسمى

فكأن انحداره للبياض كان تمويها لأنه اتخذ كعادته طريقا آخر هو طريق الكفاف ثم البويرة

والخرائط لا تسعف هنا لأن المناطق الواقعة فى أراضى المملكة السعودية لم تمسح بعد المساحة التفصيلية، فأبدأ بالكلام على هذه المواقع جاعلا أول الكلام على دومة الجندل ثم بقية الأماكن إلى الكوفة

إذا فتحت الخرائط وجدت منطقة الجوف تتوسط الصحراء وهى التى قال عنها صاحب جزيرة العرب، كانت تسمى قديما دومة الجندل[٣] والجوف هى البلدة الرئيسية تقع وسط منطقة زراعية كبيرة على رأس وادى السرحان والواحة واقعة فى منخفض نحو ٥٠٠ قدم تحت سطح الصحراء المحيطة بها[٤]

وفى هذا المنخفض واحات صغيرة مثل سكاكة وقارة والطوير وجاوة ، وسكاكة هى أكبرها وتكثر فيها مزارع النخيل

ولأهمية موقعها طلب مندوب المملكة الأردنية فى مؤتمر الكويت أن تكون حدود نجد كما كانت عام ١٩١٩ أى طلب إخلاء الجوف وسكاكة ووادى السرحان من قوات المملكة السعودية [٥] فطلب مندوب نجد استفتاء أهالى الجوف ففشل المؤتمر [٦]

وقد برز اسم دومة الجندل فى تاريخ الإمام على كرم الله وجهه ومعاوية، فقد ذكر المسعودى[٧] «وفى سنة ٣٨ كان التقاء الحكمين بدومة الجندل، وقيل بغيرها على ما قدمنا وصف التنازع فى ذلك» وذكر اسم كتاب له فيه تفاصيل النزاع ضاع ضمن ما ضاع من مؤلفاته

ويقول الأستاذ الخضرى فى تاريخ الأمم الإسلامية[٨]

« فتوافوا (أى الحكمين ومن معهما) بدومة الجندل بأذرح فيكون قد أقر بأن الاجتماع فى دومة الجندل التى هى بأرض الشراة. وقد نقل هذا عن ابن خلدون[٩] الذى قال : وبعث معاوية عمرو بن العاص فى أربعمائة من أهل الشام والتقوا بأذرح من دومة الجندل » صفحة ٤٤١

(٣) جزيرة العرب تأليف حافظ وهبة صفحة ٦٧

(٤) وموقع الجوف مهم جدا لأنه يقع على الطريق المباشر ما بين سوريا ووسط بلاد العرب وهى منفصلة أو يقع فى المنتصف ، مابين الفرات وطريق الحجاز الحديدى بين جبل شمر وجبل الدروز وعلى بعد ٣٠٠ ميل من كل هذه المواقع ، وهى الواحة الوحيدة ما بين العقبة وبغداد أو العقبة والبصرة

(٥) صفحة ٢٠٧ جزيرة العرب

(٦) صفحة ٢٤٨ جزيرة العرب

(٧) جزء ٢ صفحة ٢٧٥

(٨) جزء صفحة ٤٣٢

(٩) ج ٢ صفحات ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٨ ، ١٥٦ ، ٢٠٠ ، ٢١١ ، ٢٦٦ ، ٢٨١ ، ٤٤٠ ، ٤٤١

« وكتب الكتاب لثلاثة عشرة خلت من صفر سنة ٣٧ واتفقوا على أن يوافي على موضع الحكمين بدومة الجندل وبأذرح في شهر رمضان » ٤٤٠

وجاء ذكر دومة الجندل في صفحة ٢١٦ « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمادى الأولى من السنة الخامسة لستة أشهر من فتح بني قريظة ، وذلك إثر رجوعه من دومة الجندل فسلك على طريق الشام أولا ثم أخذ ذات اليسار إلى صخيرات اليمام »

ولذلك اختلف الناس في تحقيق موضع اجتماع الحكمين هل هو في دومة الجندل بالصحراء أم في دومة الجندل بأراضي المملكة الأردنية ؟ أي في بلدة أذرح الواقعة في نطاق دومة الجندل والتي كان يطلق عليها الصخرية

إنني أميل إلى الرأي الأخير وإن كنت أدعو أحد المهتمين بتحقيق الدراسات الإسلامية أن يضع بحثا عنها

وقد جاء في كتاب تاريخ الإسلام السياسي ما يأتي « اجتمع عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري بدومة الجندل وهي بضم الدال وفتحه وتبعد عن دمشق بست مراحل وتقع على الطريق بين دمشق إلى المدينة »(١٠)

وكان عقد التحكيم مدته من رمضان إلى رمضان وكتب في يوم الأربعاء ١٣ صفر سنة ٣٧ وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجند المواثيق واتفقا على تأجيل القضاء إلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في رمضان فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا في بلدة أذرح المبينة على الخريطة شمال غرندل وتربان

وبعث علي للميعاد بأربعمائة رجل ولم يحضر علي، وبعث معاوية بأربعمائة رجل ثم جاء معاوية واجتمعوا في أذرح والتقى الحكمان

كل هذا يقتضي بأن الاختيار وقع أولا على دومة الجندل التي بالجوف لتوسطها بين الطرفين ولكي يحضر المتخاصمان أمام الحكمين؛ ولكن معاوية الحريص على ملكه وحياته اختار الشق الثاني وجعل بلدة أذرح المكان المختار وقد يكون احتج بأنها قائمة بأرض دومة الجندل لأن هذه المنطقة كانت تسمى بأرض أدوم أو دومة من القدم ... فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥١ أن دومة التي بها أذرح محرفة عن أدوم، وأنها البلاد التي يسكنها نسل دومة وهو أدوم بن إسماعيل أو سادس أولاده (تك ٢٥ : ١٤) وأنهم سكنوا في صحراء سوريا على بعد ١٥٠ أو ٢٠٠ ميل من دمشق حيث توجد قطعة أرض تعرف باسم دومة الحجرية أو دومة السورية

وفي كتاب الإمامة والسياسة جـ ١ صفحة ١٣٦ ما يشير إلى كتاب بين علي ومعاوية اتفقا فيه على أن يرجع أهل العراق إلى العراق وأهل الشام إلى الشام ويكون الاجتماع إلى دومة الجندل (وأظن أنهما يقصدان دومة الجندل بالجوف) فإن رضيا أن يجتمعا بغيرها فلهما ذلك ... ثم ذكر في صفحة ١٣٨ أن أبا موسى وعمراً لما اجتمعا بدومة الجندل كان عقد التحكيم هدنة من رمضان إلى رمضان

وإذا رجعنا إلى اسم أدوم وجدنا أن معناه في قاموس الكتاب المقدس أحمر وهو لقب عيسو بن إسحق أخذ بلون العدس يوم باع بكوريته إلى أخيه يعقوب وأخذ الأرض الواقعة جنوبي « حبرون » مدينة الخليل إلى جنوب البحر الميت ثم تخوم أرض موآب ثم اتسعت البقعة فشملت الأراضي الواقعة بين برية « سين » وغربيها إلى بلاد العرب الواقعة شرقها أي شملت منطقة أذرح وما حولها . التي اشتهرت بجودة هوائها ، وخصب أراضيها ومناعة حصونها. أما تسميتها بأدوم فأخذا من عيسو الملقب بأدوم (تك ٣٦ : ٤٣) والمظنون أن نسله استوطن هناك فأصبح هذا القسم من جنوبي البحر الميت يشمل كل تخوم كنعان الجنوبية من البحر الميت إلى الخليج الشرقي للبحر الأحمر ومن ضمنها جبل سعير وكانت سالع عاصمة القسم الجنوبي وفيها استوطن تيمان بن عيسو (تك ٣٦ : ١١) فتسمى الجزء الجنوبي تيماء باسمه وكان للأدوميين ملوك يحكمون باسمهم

ولما جاء حكم الروم أنشأوا في تخوم العقبة بابا كبيرا ووضعوا عليه شحنة لجبي الضرائب على القوافل القادمة من الجنوب ... وفي الاصطخري وابن حوقل (١١) تمتد جبال أدوم من الشراة إلى أيلة أي العقبة كما جاء في كتاب فلسطين تحت حكم المسلمين لمؤلفه جوى لوسترانج أن أدوم في مادة الشراة

(١٠) صفحة ٢٨٦

(١١) صفحة ٢٨

أما تحقيق أدوم أو دومة الجندل لدى العرب فقـد جاء فى صفحة ١٠٦ جزء ٤ من معجم ياقوت كما يأتى : بضم أوله أو فتحه

ابن دريد : أنكر الفتح وعده من أغلاط المحدثين

حديث الواقدى : جاء فيه دوما الجندل

ابن الفقيـه : عدها من أعمال المدينة ··· وقال سميت بدوم بن إسماعيل بن إبراهيم

الزجاجى : دومان بن إسماعيل وقيل دوما

ابن الـكلبى : دوماء بن إسماعيل، ولما كثر ولد اسماعيل بتهامة خرج دوماء حتى نزل دومـة وبنى به حصنا فقيل دوماء ونسب الحصن إليه وهى على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ··· وقال أبو سعيد : دومة الجندل فى غائط فى الأرض خمسة فراسخ وفيها عين يسقى ما به من النخل والزرع وحصنها مارد ، وسميت دومة الجندل لأن حصنهـا مبنى بالجندل » ولا يبعد أن وصفه ينطبق على دومة الجنـدل بالجوف والحصن على ما بناه الأكيدر وهو من فتح خالد بن الوليد . ثم يؤكد أبو عبيد الـكوفى أن دومة الجندل قرب جبلى طى ويقصد بذلك واحة الجوف لأنه يذكر بلدة دومة وسكاكة وذو القارة[١٢] أما دومة ففيها سور يتحصن به وفى داخل السور حصن منيع يقال له مارد وهو حصن أكيدر

ونعود إلى أرض أدوم أو دومة الجندل الصخرية فنقول إن هذه البقعة كانت عامرة فى العصور السابقة وفى عهد الروم أنشئت بها كما قلنا أسقفية فى « غرندل» تحريف «أرندل» التى بقيت على الطريق الرومانى من العقبة إلى بصرى ، وكان يمر بأرض الشوبك وعليه حصن الـكرك المشهور فى الحروب الصليبية، وكان عامرة فى عهودها الإسلامية بدليل سكنى الخلائف من قريش وبنى هاشم ، وأن الدعوة العباسيـة قامت من بلدة الحميمة حين مات بها إبراهيم الإمام

وبعد هـذا التحقيق والبحث كنت أقلب الجزء الأول من العقد الفريد تحقيق العلامة الدكتور أحمد أمين فوقـع نظرى فى الصفحة ٢٦٤ سطر ١٣

« وأوصل أبو دلامة إلى العبـاس بن المنصور رقعة فيهـا هذه الأبيات

قف بالديار وأى الدهر لم تقف   على مناظر بين الظهر والنجف

فإذا الحاشية (٤) تقول

(النجف بالتحريك موضع بظهر الـكوفة ، وهو دومة الجندل بعينها، وبالقرب منها قبر أمير المؤمنين على بن أبى طالب) ولاشك فى أن واضع الحاشية كغيره من الأدباء أغفل تحقيق الأماكن الجغرافية لعدم أهميتها، والحقيقة أن بالـكوفة مكانا يدعى « دومة » والنجف محلة منها ويقال إنها سميت بذلك لأن عمر بن الخطاب لما أجلى الأكيدر صاحب دومة الجندل المشهورة فى الجوف قدم الحيرة ثم بنى بهـا منزلا سماه دومة على اسم حصنه الذى نزع منه (راجع كتاب تاريخ الـكوفـة تأليف المؤرخ السيد حسين بن السيد أحمد البراق طبع النجف صفحة ١٤٨ سطر ٢

ولا يصح أن يفهم القارئ خطأ بأن موضع دومة الجندل التى مر ذكرها واختلاف الرواة بشأن الحـكمين كان موضعا بالقرب بالنجف حيث يرقد الإمام على رضى الله عنه وبين النجف ودومة الجندل بالجوف مئات الأميال وبينها وبين أرض أدوم بالشراة مئات أخرى

أحمد رمزى

المدير العام لمصلحة الاقتصاد الدولى

(١٢) أسبحت القارة فى كتاب الشيخ حافظ وهبة

لاقريش بعداليوم ..!

«فصل من كتاب (جهاد النبي)
الجزء الثاني — الذي صدر حديثاً »

للأستاذ محمد محمود زيتون

(جيش الإسلام في الطريق إلى مكة .. أبوسفيان والعباس يسبقان الجيش ويتحدثان)

أبوسفيان : ماشاء الله ياأبا الفضل . لقد ذقت والله حلاوة الإسلام في نفسي

العباس : ثبت الله قلبك على الحق ياأبا حنظلة

أبوسفيان : والله ما كنت أظن أن رسول الله يزيد في قومه هكذا

العباس : فما بالك بجيشه الفاتح المنصور بإذن الله !

أبوسفيان : لئن جئت محمداً أخاف أن تهوى أسياف من معه على رقاب قريش ، فأصبحت وأنا أشد شوقاً إلى أن أراهم يرتمون في الإسلام ، وإلا فالسيف بيننا وبينهم

العباس : بل ستكون المعجزة الكبرى يوم الفتح

أبوسفيان : بشرك الله بالفضل ياأباالفضل

(العباس وأبو سفيان بمضيق الوادي عند خطم الجبل ... القبائل تدخل على قادتها ... والكتائب على راياتها)

أبوسفيان : (لحكيم) أغدراً ؟

حكيم : لا

أبوسفيان : إن أهل النبوة لايغدرون

حكيم : ولكن لي إليك حاجة حتى تنظر جنود الله ، وما أعد الله للمشركين

كل قبيلة تمر ... تكبر ثلاثاً ... وتمضي في قوة وشجاعة)

أبوسفيان : من هذه ؟

العباس : سليم

أبوسفيان : مالي ولسليم .. ومن هذه ؟

العباس : مزينة

أبوسفيان : مالي ولمزينة.. وقد جاءتني تقعقع من شواهقها ، ومن تلك ؟

العباس : تلك أسلم

أبوسفيان : مالي ولأسلم .. فمن ؟

العباس : فجهينة

أبوسفيان : مالي ولجهينة والله ما كان بيني وبينهم حرب قط ، فبنو من ؟

العباس : فبنو غفار .. وهؤلاء طوائف أخرى من تميم وقيس وأسد

أبوسفيان : مامر محمد بعد ؟

العباس : لا

أبوسفيان : من هؤلاء الذين يكبرون ؟

العباس : بنو بكر

أبوسفيان : نعم .. أهل شؤم ، والله هؤلاء الذين غزانا بسببهم محمد .. فمن هؤلاء بعدهم ؟

العباس : أشجع

أبو سفيان : هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد

العباس : أدخل الله الإسلام في قلوبهم .. فهذا فضل الله

أبو سفيان : أبعد ما مضى محمد ؟

العباس : لوأتت الكتيبةالتي محمد فيها لرأيت الخيل والحديد والرجال ، وما ليس لأحد به طاقة

(تمر كتيبة الأنصار.. ابن عبادة على الراية)

ابن عبادة : ياأبا سفيان اليوم يوم اللحمة ، اليوم تستحل الكعبة

أبوسفيان : يا عباس حبذا يوم الذمار

(ابن عوف وعثمان وعلى حول النبي)

عثمان : يارسول الله مانأمن أن تكون لسعد بن عبادة صولة في قريش ، وقد قال ما قال

النبي : (لعلي) أدركه فخذ الراية منه ثم مره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد بن عبادة

عمر : (للجيش) رويدا يلحق أولكم آخركم

(أبوسفيان لايزال يتعجب مما يرى)

أبوسفيان : هلا ذكرت لي من على رأس هذا الجيش

الكثيف ياأبا الفضل ؟

العباس : أمارأيت خالد بن الوليد فى بنى سليم على الجناح الأيمن وهذا الزبير بن العوام على الجناح الأيسر ، أحدهما آخذ من أعلى مكة والآخر من أسفلها

أبوسفيان : ومن على القدمة ؟

العباس : أبو عبيدة بن الجراح

أبوسفيان : ولمن هذه الكتيبة الخضراء ؟

العباس : إنها والله كتيبة رسول الله

أبوسفيان : هذه والله معها الموت الأحمر

العباس : أما تراهم فى الحديد !

أبوسفيان : والله ماأرى منهم غيرالأحداق من وراء الحديد، مالأحدبهؤلاء قبل ولاطاقة.. ومن هذا الغلام رديف رسول الله ؟

العباس : هذا خادمه وابن خادمه أسامة بن زيد

أبوسفيان : أفى مثل هذا الموكب !!

العباس : تواضعاً لله .. ومن تواضع لله رفعه .. وفتح عليه

(يمر النبى على القصواء [1] فى تواضع ... يحاذى أبا سفيان)

أبوسفيان : أمرت بقتل قومك ؟

النبى : لا

أبوسفيان : أنشدك الله والرحم فى قومك ، فإنك أبرالناس وأرحمهم وأوصلهم، فمابال سعدٌ ؟

النبى : كذب سعد .. ياأبا سفيان : اليوم يوم الرحمة .. يوم يعظم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة

(يمر النبى فى كتيبته بين أبى بكر وأسيد بن حضير يتحدث إليهما .. ويظل أبوسفيان والعباس يتحدثان)

أبوسفيان : فمن هذا الوازع الذى يرعد فى الكتيبة ياعباس؟

العباس : ذاك عمر بن الخطاب

أبوسفيان : لقد أمر أمر عدى فى الكتيبة ياعباس ؟

العباس : إن الله يرفع مايشاء بما يشاء . وإن عمر ممن رفعه الإسلام

(فترة صمت.. أبوسفيان فى شبه ذهول)

العباس : فاترى ؟

أبوسفيان : والله ياأبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما

العباس : ياأباسفيان إنها النبوة

أبوسفيان : إى والله إنها النبوة

العباس : إذن فالنجاء إلى قومك

أبوسفيان : فامض بنا .. ومن أين يدخل النبى مكة ؟

العباس : من « كداء »

أبوسفيان : ناشدتك الله والرحم ياعباس إلا حدثتنى .. ما حملك على هذا الموقف ؟

العباس : أما والله لأصدقنك .. قدمت على النبى ، والناس متفرقون بين الأراك ، فخفت أن ترغب فى قلة الإسلام فتكفر بعد إسلامك فلا يقبل منك شىء غير القتل ، فأصدقنى أنت ياأبا سفيان أين وقع حديثى مما كان فى نفسك ؟

أبوسفيان: اللهم كان فى نفسى أن أفعل بعض الذى قلت، فأما إذ رأيت الذى رأيت فقد علمت الآن أن هذا الأمر من الله لا مرد له ، والله مازالت الكتائب تمر حتى خفت أن تسير معها جبال مكة .. مربنا ياعباس فلم أر كاليوم قط صباح يوم فى دارهم

(نساء قريش يلطمن وجوه الخيل بالخمر)

(أبوقحافة وقد كف بصره ومعه ابنة من أصغر ولده

أبوقحافة : أى بنية اظهرى بى على (أبى قبيس)

(تذهب به إلى الجبل)

أبوقحافة : ماذا ترين ؟

— أرى سوادا مجتمعا

أبوقحافة : تلك الخيل

— وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مقبلا مدبرا

أبوقحافة : ذلك الوازع

— قد والله انتشر السواد

أبوقحافة : قد والله إذن دفعت الخيل فأسرعى بى إلى بيتى

(تمر بهما بعض الكتائب فيختطف رجل منها طوقا من الفضة حول عنقها)

— طوقى ..! طوقى ..!

النبى : (مبتسما) ياأبا بكر كيف حال حسان ؟

(١) ناقة النبى

أبوبكر : قال حسان

عدمت بنيتى إن لم تروها تثير النقع موعدها « كداء »
ينازعن الأعنة مسرجات على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات يلطمهن بالخمر النساء

(أبوسفيان والعباس يدخلان مكة)

أبوسفيان : يامعشر قريش . هذا محمد قد جاءكم فيما لاقبل لكم به

— ويحك ياأبا سفيان !

— صباء الشيخ

(عكرمة ومقيس يقبلان عليه)

عكرمة : أقسم باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وهبل وأساف ونائلة.. لقد سحرك محمد

مقيس : أو لهذا أرسلناك ياأبا حنظلة ؟!

أبوسفيان : أقبلا على أمركما ، فإنه قد أتاكما مالا نطيقان ، أنتما ولاقومكما

عكرمة : على رسلك يا أحمس ... وما أتانا ؟

أبوسفيان : أتاكم الله مثل الليل الدامس

مقيس : والله لقد طاح أبوسفيان بما بقى لدينا من عقل

أبوسفيان : وأخرى ؟!

مقيس : وما تلك ؟

أبوسفيان : من دخل دارى فهو آمن

مقيس : قاتلك الله ، وما تغنى عنا دارك ؟

أبوسفيان : ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن

(هند تأخذ بشارب أبى سفيان)

هند: أقتلوا الشيخ الأحمق ... اقتلوه فإنه صبأ .. اقتلوا الحميت الدسم الأحمس . اقتلوه .. قبحه الله من طليعة قوم .. يا آل غالب هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم

أبوسفيان : ويحك ! اسكتى وادخلى بيتك .. والله لتسلمن أو لأضربن عنقك .. ويلكم .. تغركم هذه الحمقاء عن أنفسكم فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم به . فتفرقوا إلى دوركم وإلى المسجد

(الناس يعدون إلى بيوتهم..مقيس وعكرمة وسارة حيارى لايدرون أين يتوجهون)

أبوسفيان : ومن جنح إلى الكعبة وألقى السلاح فهو آمن

(مقيس وعكرمة .. يخلعان الحديد وبركضان نحو الكعبة)

أبوسفيان : اللهم إلا مقيس وعكرمة بن أبى السرح وابن حنظل وسارة مولاة عبدالمطلب .. لم يجعل لهؤلاء أمان ولوتعلقوا بالأستار

(سارة ومقيس وعكرمة ومن ليس لهم أمان .. تنهار أعصابهم فيخرون على الأرض .. ترتعد فرائصهم)

أبو سفيان : يا آل غالب أسلموا تسلموا

(حماس بن قيس بداره .. يتحدث إلى زوجته)

— ماتفعل ياحماس ؟

حماس : كما ترين أبرى نبلا

— فلم تبريه ؟

حماس : بلغنى أن محمدا يريد أن يفتح مكة ويغزوها

— والله ما أدرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شىء

حماس : والله إنى لأرجو أن أستخدمك خادما من بعض من نستأسره

— والله لكأنى بك قد رجعت تطلب مخبأ أخبئك فيه لورأيت خيل محمد

صفوان : ياحماس .. ياحماس

— فمن هذا الذى يناديك ؟

حماس : هذا صفوان بن أمية (يخرج ومعه سلاحه)

صفوان : وقد أعددته ؟ فهلم إلى عكرمة

حماس : أعنده من أحد ؟

صفوان : عنده سهيل بن عمرو ، أما جمعت بنى بكر ؟

حماس : بل كنت فى شغل بسلاحى أعده.. ألم تفعلوا أنتم ؟

صفوان : بلى .. غدا نجتمع عند (الخندمة)

(الخندمة : القتال بين رهط خالد ورهط صفوان .. قتلى المشركين اثنا عشر .. حماس منهزم .. يدخل بيته)

حماس (لزوجته) أغلقى على بابى .. لا تفتحى لأحد أبدا

— أين نبالك ؟

حماس : قبحها الله من سلاح .. ويحك .. هل من مخبأ !

— فأين الخادمة التي وعدتني بها ؟

حماس : دعيني عنك

إنك لو شهدت يوم الخندمه   إذ فر صفوان وفر عكرمه
وأبو يزيد قائم كالمؤتمه   واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه   ضربا فلا يسمع إلا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه   لم تنطق في اللوم أدنى كلمه

(أسفل مكة .. حول راية خالد .. ومعه بنو بكر وبنو الحارث وبعض من هذيل)

— والله لا تدخلها عنوة

خالد : الله أكبر .. الله أكبر

(المسلمون يجتمعون حول الراية)

حكيم : يامعشر قريش ، علام تقتلون أنفسكم ؟

أبوسفيان : من دخل داره فهو آمن ، ومن وضع سلاحه فهو آمن

(قريش يقتحمون الدور ويغلقون الأبواب وراءهم تاركين السلاح بعد أن طرحوه بالطرق فيأخذه المسلمون)

(النبي ينظر إلى بارقة السيوف . وقد وقع القتال)

النبي : ماهذا ، وقد نهيت عن القتال ؟

— نظن أن خالدا قوتل ، وبدئ بالقتال فلم يكن بد من أن يقاتلهم

النبي : قم فقل له فليرفع يديه من القتل

— ياخالد..إن نبي الله يقول لك اقتل من قدرت عليه

النبي : ألا آمرك أن تنذر خالدا ؟

— أردت أمرا فأراد الله أمرا ، فكان أمر الله فوق أمرك وما استطعت إلا الذى كان

النبي : ! ؟ . . ! ؟ . . ! ؟

— يا رسول الله هذا خراش بن أمية وقد قتل ابن الأثوع المذلي

النبي : إن خراشا لقتال ، يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا ، لأدينه

(خالد يقوم على النبي بعد أن قتل سبعين مشركا)

النبي : قاتلت وقد نهيتك عن القتال ؟

خالد : هم بدؤونا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت

النبي : قضاء الله خير . (ينظر إلى أبي هريرة) اهتف لى بالأنصار

أبو هريرة : يا معشر الأنصار أجيبوا رسول الله

النبي (للأنصار) ترون أن أوباش قريش وأتباعهم (يضع يدا على يد) احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا

(المسلمون يحصدون أوباش قريش التي وبشتها من قبل)

أبوسفيان : يارسول الله ، أبيحت خضراء قريش . لا قريش بعد اليوم

النبي : من أغلق بابه فهو آمن

محمد محمود زيتونه

---

٢ - فى بلاد الأحرار

للكاتب التركى الأستاذ أغا أغلو أحمد

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

عكفت على مطالعة السفر فى الحال ، وكانت صفحته الأولى تحمل هذا العنوان : « القواعد الأساسية لبلاد الأحرار »

وعندما قلبت الصفحة الأولى منه وقعت نظرتى على هذا العنوان : « الأسس العامة »

ثم تلا ذلك هذه المواد :

(١) الحرية منحة سامية . . . ولكيما يكون المرء حرا ، يجب أن يحوز منزلة كبيرة من السمو والرفعة . . . نزاهة الفكر . . نزاهة القول . . . نزاهة الحركة . . . تلك هى الأسس اللازمة للحرية

(٢) لا يستطيع نيل الحرية أولئك الذين لا يتمكنون من التحكم فى نفوسهم

(٣) سذاجة القول . . . سذاجة المعيشة هما شرطا الحرية . .

وبعد أن قرأت هذه المواد التى بدت لى غريبة جدا لفت نظرى هذا العنوان : « القانون الأساسى لبلاد الأحرار »

كان هذا القانون يتضمن المواد التالية :

(١) الحرية تقوم على الصدق والجرأة

(٢) الكذب ممنوع منعاً باتاً فى بلاد الأحرار ومن يبتل بهذا الداء يطرد من البلاد

(٣) الرياء والتزلف يعدان من أكبر الجرائم ، ومرتكبها يرجم بالأحجار أفراد هذا الشعب كافة

(٤) لا يجوز للجواسيس أن ينتسبوا إلى رعوية « بلاد الأحرار »

(٥) لا يجتمع الجبن وتوطن بلاد الأحرار على صعيد واحد

(٦) إن من يعتدى على غيره قولا أو عملا يقذف به إلى خارج البلاد

(٧) الاحتيال والنميمة يورثان مرتكبهما عقوبة إسقاط رعوية بلاد الأحرار عنه

(٨) الدفاع عن الحق واجب ... ومن لم يقم بهذا الواجب يطرد من البلاد

(٩) العمل واجب . . . ومن تحدثه نفسه بالبقاء بغير عمل يستكره على العمل لحساب البلاد بغير أجر

(١٠) التساند واجب . . . والذين لا يقومون بتأدية هذا الواجب يفقدون رعوية البلاد

(١١) إن القيام بإدارة شؤون بلاد الأحرار لهومن حق ذوى التجارب والاختصاص فحسب

(١٢) إن كل وطنى مكلف بأن يراقب موظفى البلاد

(١٣) على كل موظف أو فرد فى المملكة أن يؤدى الحساب فى أى وقت كان ، عن أعماله التى يقوم بها ، أو ثروته التى يمتلكها ... والذين يحاولون الهرب من تأدية مثل هذا الحساب يحكم عليهم بعقوبات قاسية ويفقدون صفة الاستيطان

(١٤) على كل وطنى استظهار المواد المدرجة فى أعلاه والعمل بمقتضاها

* * *

قرأت هذه المواد ، ثم أخذت أفكر .. ما أعجب هذه البلاد ؟ إنها نقيض ما رأيته أو سمعته أو تعلمته حتى الآن

ليت شعرى ! . هل أستطيع إلفة هذه الحياة الجديدة ؟ داخلتنى الشكوك وساورنى الإحجام ... حتى خيل إلى لحظة وأنا فى غمرة تفكير عميق أن من الأفضل أن أهرب من هذا المكان . . . ولكن غرورى وكبرياء نفسى قد حالا بينى وبين ذلك

وقد قلت لنفسى :

— « . . إذ قد أتيت .. وطلبت أن أكون « مواطناً » فى بلاد الأحرار فالعمل فى سبيل التعلم قضية كرامة شخصية ليس إلا .. نعم ! أنا أعرف أن لى عادات كثيرة ، وسجايا اكتسبتها من جدودى وعهود التاريخ ، وإنه من الصعوبة بمكان . . . على أن

أفارقها وأنبذها نبذ النواة دفعة واحدة . . . ولـكن مهما يـكن من شيء فالواجب يقضي على بالعمل وبذل كل الجهود المستطاعة »

وهـكذا صممت على تعلم الدستور ، فأقبلت عليـه بالدرس والبحث والتأمل . . . ولم تمر غير أيام معدودات حتى كنت فى خلالها قد تمكنت من استظهار مواده وفهم مغازيها ... على أنه كانت ثمـة أيضاً بعض المواد لم أفهم الحكمة من وضعها ، وأخرى داخلنى الشك والارتياب فيها . . . فـلذا صممت على مكاشفة الأساتذة بالأمر ، وطلب الشرح الوافى منهم

وبعد كل هـذا أخذت أنظر ما حولى ، وأفحص الدار التى أسكنها ، وأدرس الرجال الذين أتصل بهم

إن ما رأيته بحيط بى قـد بعث فى نفسى من الحيرة والدهش أضعاف ما بعثه فيها ما كنت قد قرأته من المواد والنصوص

فقد علمت أن الدار التى أسكنها دار ضيافة ، وأن هناك عدة دور أخرى مماثلة لها فى المدينة خاصة بالذين يلجأون إلى بلاد الأحرار

وكان معى فى الدار ضيوف آخرون يبلغ تعدادهم عشرين ضيفاً بينهم نسوة

وفى اليوم التالى أفضى بى الشيخ الذى فتح لى الباب إلى قاعة الطعام العمومية ، ثم قدمنى إلى الضيوف الذين كانوا قد اجتمعوا هناك ؛ قائلا :

— ضيف جديد !

رحب بى القوم جميعاً بوجوه تطفح بشراً وإيناسا ، ونظرات تفيض رقة وحنانا ، ثم قال الجميع بصوت واحد :

— هنيئا لك ! ..

كان الطعام وافراً ساذجا .. وبعد انتهائنا من تناوله ، انتقلنا إلى البهو ، وهنا جلست إحدى السيدات إلى المعزف ، وأخذت توقع ألحانا مؤثرة

نهض الضيوف جميعا ، وأخذوا ينشدون بصوت واحد نشيدا أشبه شيء بالدعاء... فنفذ لحن هــــذا النشيد إلى شغاف قلبى ، وشعرت شعورا غامضا لا سبيل لى إلى الإفصاح عنه

وهنا خاطبنى الشيخ قائلا :

— يجب أن تحفظ هذا النشيد !

ثم ناولنى ورقة مكتوبة فإذا أنا أقرأ فيها :

« ما أصعب أن يـكون المرء حرا »

* * *

لست بتذكر نفس الأقوال التى كانت قد وردت فى ذلك النشيد ، ولـكننى أستطيع أن أقـــول إن خلاصتها كانت لا تعدو ما يلى :

« الإنسان شعور الـكون »

« نعبده ونقدسه »

« الحرية جوهر الشعور القدس »

« نحبها ولا نتخلى عنها »

« بلاد الأحرار هيكل الشعور والحرية »

« نلجأ إليها ونعتز بها »

إنه ليس بوسعى أن أصف لـكم مبلغ ما أحدثه هذا النشيد من الأثر البالـغ فى نفسى . . . فقـد أضعت صوابى لمـدة دقائق... وعندما عاد إلى رشدى وجدت الضيوف قد انقسموا إلى جماعات والـكل يتحدثون

جاءنى جماعة منهم وأخذوا يجاذبوننى أطراف الحديث كما لو كانوا من معارفى منذ مدة طويلة... فعلمت أن هؤلاء أيضا مثلى قدموا هذه الديار عند بحثهم عن الحرية

وبعدهنيهة أخذت أطوف الأقسام الأخرى أيضامن البناية.. كانت الغرف والقاعات قد فرشت بفرش ساذجة ، ولـكنها تلمع من شدة النظافة .. والجدران مزدانة بعدد كبير من الصور الفنية الغالية والألواح النفيسة

وعلى معظم هـذه الألواح دونت مواد دستور بلاد الأحرار بخط رائع جذاب . . . كانت ثمـة كتابات أخرى أيضا لفت نظرى منها

« الحريص يـكتوى بنار حرصه ويحرق ما حوله »

« الـكلام أول صوت إلهى شعر به الـكون »

« الاستبداد معرة متوارثة من عهود الهمجية »

« العدل ميزة تثير غبطة الملائـكة للانسان »

« التضحية من أسمى مظاهر النفس البشرية »

« نـكران الذات والتواضع خلتان يختص بهما ذوو الأرواح

رسالة الشعر

فى مهرجان «الرسالة»

للأستاذ زهير ميرزا

لا تسلني فلن أحير جوابا   غرب الفكر عن زماني وغابا
واستحال السماك أشباع إيجا   ل أرونا الجوزاء فيهم ترابا
واستوى عقد بعضهم نضو فكر   وهزيل يرى الكتاب كسابا
وتخلى عن السباق عتاق   عطروا الساح فكرة وكتابا
وتباروا فى حلبة المجد أنضا   ء اجتهاد فما أصابوا اضطرابا
كلهم رائد الخلود فما تلـ   ـقى جبانا ولست تلقى ذئابا

من ترى يخلع الوقار على الميـ   ـدان إن أهمل العتيق الرحابا ؟
طوى السبق وانجلى عن فصيل   لم يعود شوطاً فضل صوابا ؟..

* * *

من لهذا البيان إن غاب أعلا   م أناروا الدنى وفاقوا السحابا ؟
من لهذا البيان إن أمسك القر   ضاب جبس فدنس القرضابا ؟
مثل من يقلب البراعة فى كفـ   ـيه فأساً تهدم الألبابا
ورأينا على الجياد خيالا   ت رجال لم يألفوا الإركابا
حطهم فوق سرجها عبث الدهـ   ـر وحط الكمى عنها وغابا !!

* * *

سائل الحفل عن فتى عربى   تجد الحفل ضاق عنه جنابا
لم يجل فيه غير بعض هجين   أهمل النطق واستباح (الكتابا)
ورأى فى البيان مظهر تقييـ   ـد فدك البيان والإعرابا
وبنى المنطق الضعيف على الضعـ   ـف.. فكان البناء يشكو الخرابا

* * *

طلعت هذه (الرسالة) والنا   س عبيد لم يلقفوا الأسبابا

السامية »

« الغرور والعجرفة دليلان على سقوط النفس وضعة القدر »

° ° °

كان ثمة بهو رحيب فى ركن من البناية يضم فى أرجائه الفسيحة مكتبة الدار.. وعلى منضدة تمتد على طول البهو صفت أشتات من الجرائد والمجلات والكتب ، كما أن الرفوف كانت عامرة بآلاف المجلدات

كان أغلب الضيوف حاضرين هنا ... وكانوا جميعا مكبين على المطالعة والتأمل

واقتربت أنا أيضا من المنضدة. فوقع نظرى على كتاب عليه هذا العنوان : « فذلكة من تاريخ بلاد الأحرار »

حرك ذلك منى الرغبة فعكفت على مطالعته فى الحال

لم يكن هذا تاريخا ... بل مأساة دامية

أى أيام سود كانت قد مرت على هذه البلاد ؟ بالقسوة القدر!

كافحت هذه البلاد فى سبيل الحرية عصورا طويلة واغلة فى القدم

جرت الدماء جداول وأنهارا فى هذه الشوارع التى تفيض بالهدوء والوداعة اليوم

فتارة يتخاصم الأهلون ويتقاتلون فيما بينهم ، فيهدمون ويخربون ؛ وتارة تجتمع كلمة الكل وتتحد غاياتهم فيهبون هبة واحدة لمحاربة الطغاة المستبدين ، والحرب فى كل ذلك سجال بين الفريقين .. إلى أن أتى يوم رسخت فيه دعائم الحرية ، وتنفست البلاد الصعداء ، وأخذت تعيش فى كنف الهدوء والاطمئنان ، وكان ذلك منذ قرنين من الزمان

وإذ أنا أتأمل هذا الكتاب قلت بغير إرادة

« ما أصعب أن يكون المرء حرا »

يتبع

هم عبيد القديم ، عن جهل لحوا ه ، وبعض يرى القديم صوابا
هم عبيد الحديث،عن طفرةالوهـــم يزقونه شراباً سراباً
هم عبيد وكل عبـد زنيم كبرت ضلة وجلت مصابا
والعظيم العظيم من يقهر الجهـــل وينجى من القيود الرقابا ..

***

ألف جزء من (الرسالة) دنيا جمت طيباً فطابت وطابا
حملت مشعل الحضارة والبعـــث وجازت على الزمان الصعابا
ورقت بالفطير يعوزه الزق إلى أن غدا من الخلد قابا
كم سما ناشئ إليها بدنيا ه فكانت نبراسه والشهابا
وانضوى فى سجلها كل فكر عبقرى فكان تبراً مذابا
أطلعت هذه «الشموس» ولولا ها لكان الضباب يعلو الضبابا
أعصر الإنحطاط لم تك إلا غفوات لم تلق صوتا مجابا
لم تكن فيهم (الرسالة) حتى يتبارى إبداعهم وثابا
هى أم الكتاب قد حضنتهم من طفولاتهم ليغدو شبابا
وشباب فى نضجهم ككهول لم يخب رأيها ولا الجد خابا
ثم كان الصباح.. وانبثق النو ر إذا بالوجود يلقى النقابا
فتراه تكشف اليوم عن نو ر سطيع يشعشع الآدابا

***

لا تلمنى إذا غضبت لقوى شيمة الصدق أن نكون غضابا
نحمل القلب طيباً ولنا الرأ ى سديدا فما طغى أو حابى
خلق بعضه صنيع عصامى وبعض من « النبى » اكتسابا

***

كل عصر له (أبو عبادة) إلا عصر جهل يرى البلاغة عابا
ويح قوى !.. أما يخافون يوما يفقدون الآداب والأنسابا
فيقول الإنسان عاشوا سواما ويقول التاريخ فيهم سبابا
غصة ملء صدرنا وأنين لو يذيب الأحجار كان أذابا
لا تقل : تلك ضجعة الموت فينا قدرة الفكر تبدع الإنقلابا ؟

زهير ميرزا

أغنية الكفاح

فجر ... ونور ... !

للأديب محيى الدين فارس

أقبل الفجر وغنى فى الذرى طير الأمانى
فانتشى النيل وأسماع الورى والشاطئان
بهجة فى الأرض تنشى كل أفق ومكان
وابتسام ســـاحر رف على ثغر الزمان
إنه يا نيل عيـــد تنشق الأرواح زهره
هتفت فى غمرة البشرى : فما أروح عطره !

***

اصدحى ياطير . هذا العيد . عيد الكائنات
كم ترقبناه شوقا فهو أحلام الحياة ..
بقلوب ظامئات ، وعيون شرهات !
فإذا بالند فى جنبيه فجر الأمنيات ...
إنه يا نيل عيـــد تنشق الأرواح زهره
هتفت فى غمرة البشرى : فما أروح عطره !

***

ها هو القيد تثارت بأحضان الرياح
فارقصى يا بهجة النيل على لحن الكفاح
وتمـــلى نشوة الدنيا وأفراح الصباح
فالمنى ملء يدينـــا والسنا ضاق الوشاح
إنه يا مصر عيـــد تنشق الأرواح زهره
هتفت فى غمرة البشرى : فما أروح عطره !

***

خمدت نارك يا أمس خمـودا فصحونا
فإذا بالركب لا يشكو على البيداء أينا
فرحة يارب ! ... عيد ملأ الأكوان لحنا
ما علينا رضى « الغرب » فأصغى أم تجنى ؟
إنه يا شرق عيـد تنشق الأرواح زهره
هتفت فى غمرة البشرى : فما أروح عطره !!

محيى الدين فارس

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ أنور الجندي

تطهير التاريخ

« .. نعتقد أن تطهير التاريخ قد بدأ فعلا ، وأن الكتب التي تصدر في هذه الأيام ، وخاصة التي بذل في تحريرها جهد ، وسمت عن إرضاء رغبات القراء أو أهوائهم ، تصحح وقائع التاريخ في العصر الأخير فعلا .. »

هذا بعض ما جاء في خطاب « عبد المحسن حسني » تعليقا على ما كتبنا في هذا المكان ، في العدد الألف ، ولكن الواقع أننا لا نريد تحرير التاريخ في العصر الأخير أو في السنوات الأخيرة وحدها .. وإننا نحن إزاء تاريخ كامل مضطرب ، منذ الاحتلال الإنجليزي إلى اليوم ، هذا التاريخ الذي حالت الكثير من الأوضاع والظروف دون تحرره !

ليس تاريخ الملوك والسلاطين والخديويين فحسب ، وإنما تاريخ الزعماء ورجال الأحزاب والسياسة ، وجانب كبير من تاريخ الأدباء والمفكرين

لم تكن الموازين على طبيعتها العادلة المضبوطة ، التي تضع كل إنسان في موضعه ، وكانت أنباء كل شئ تنشر على غير حقيقتها ، إما مزيدة أو مضيعة ، كانت الأهواء من وراء كل حقيقة تلونها بلونها ، وكانت الوصولية والهوى والغرض ، تصبغ كل شئ بطابعها الأسود القاتم ، وقد رفعت السياسة أسماء كانت أهلا لأن تهوى ، وحرمت أسماء من أكرم الأسماء نصيبها من التقدير لأنها تجنبت الانزلاق إلى مهاوى السياسة والوصولية والحزبية !

إننا نريد أن نطهر التاريخ ، فننصف تلك الشخصيات التي ظلمها التاريخ ، حين أعطى لسعد أكثر مما أعطى لمحمد فريد ، وحين رفع اسم فلان وفلان وفلان لأنهم كانوا موصولى الأواصر بإنسان علك سلطان الإعزاز والإذلال

إن هناك حقائق كبيرة تكمن وراء الكثير من الأحداث ، لم تكتب ولم تفسر ، وإن في تاريخ ثورة ١٩١٩ وعوامل اندلاعها ، وقيادتها ، ونتائجها ، أشياء كثيرة لم تكتب بعد ، وفي تاريخ إنشاء الأحزاب حقائق أيضا لم تكتب ، وفي الخلاف بين الحزب الوطني ، الذي حمل لواء الجهاد وبين الوفد المصري الذي أنشأ بعد الحرب خلاف ، وفيما بين مصطفى كامل ومحمد عبده خلاف ، كل هذه قضايا لم تكتب على وجهها الصحيح

وفي الحركة الوطنية بعد تصريح ٢٨ فبراير وإعلان الدستور ، ونشوء الأحزاب وصراعها ، وصلتها بالإنجليز وبالقصر ، حقائق وأشياء لم تكتب بعد على صورة واضحة

وفي تاريخ الخديو إسماعيل ، وتوفيق ، وعباس ، وفؤاد وفاروق أشياء وأشياء .. لم تكتب ، وهي في ذاتها بعيدة الأثر في تطور التاريخ الحديث

كل هذا هو ما نريد أن يكتب ، بروح الإخلاص والحرية والنزاهة

التطهير في محيط الأدباء

ويتصل بهذا ، الحديث عن التطهير في محيط الأدباء ولا شك أن الأدباء هم أناس من الناس ، وأن بعض الأقلام قد تلوثت وقد غرقت في المداد الأسود ، وهي بهذا ليست جديرة بأن تحمل رسالة التطهير أو العمل الإيجابي أو البناء في العهد الجديد

الكتاب الذين جعلوا القلم حرفة للآراء ، والنفاق ، على حساب الأمانة التي حملهم الله إياها ، والذين عقوا الفطرة ، وجانبوا المهمة الكبرى والرسالة العظمى ، فحموا الظلم ، ووصفوه على أنه عدل ، وساروا في ركاب الظالمين ، هؤلاء يجب أن نطهر منهم دولة الأدب والقلم

الشمس في منتصف الليل

كتب إلى الأستاذ محمود تيمور من الإسكندرية يقول إنه مشغول الآن بإعداد كتابه الجديد « الشمس في منتصف الليل » وهو موضوع رحلته التي رحلها في الصيف الماضي إلى بلاد النرويج والسويد والمناطق الشمالية في القارة الأوربية ، وقد فهمت من خطابه أنه يعني بذلك الرد على ما قلناه في مقالنا السالف من أن الصيف ليس فصل إنتاج ، وأن الأدباء يقضون هذا الموسم

في حالة استجمام

والواقع الذي نعرفه أن عميد القصة المصرية ، قد جرد نفسه لفنه تجريدا وأنه لا يشرك بعمله الأدبي شيئا ، ولذلك فهو ما يلبث بين آن وآخر أن يطالعنا بعمل أدبي جديد

مؤتمر اليونسكو

كتب الدكتور طه حسين في الأهرام يقول إنه لا يحول بينه وبين العودة إلى مصر في هذا الوقت ، إلا انتظاره موعد انعقاد مؤتمر اليونسكو ، الذي دعت إليه هذه الهيئة العالمية منذ مايو الماضي ، وانتدبت الدكتور طه حسين إليه باسمه لا بوصفه

وقد كان الدكتور طه ضيق الصدر في خلال الفترة التي أعقبت إقالة الوزارة الوفدية في يناير الماضي ، وكان يستحث الأيام لقرب موسم الصيف ، حتى يهجر مصر هجرته المحببة التي لا ينسى فيها مصر ، والتي تكون دائما موعدا بينه وبين الإنتاج الأدبي .. وقد حدثني عميد الأدب ، أنه يصرف هذا الوقت الذي يقضيه في أوربا عاكفا على القراءة والإملاء ، وأنه ما أن يقصد إلى فرنسا ، ويذهب إلى باريس ، حتى يسرع فيستقر في إحدى الجبال التي يحب الحياة فيها ، وهناك حيث لا « تليفون » ولا اتصالات ولا زوار تقطع حبل الأفكار وتطغى على الإلهام ، وتفسد الوحي

وقد كنت أعلم أنه يعد في موسمه هذا .. الجزء الثاني من كتاب « الفتنة الكبرى » التي كان للجزء الأول منه دوى أي دوى .. وكان الدكتور طه حسين قد أعد تقريرا مسهبا في خلال شهر مايو الماضي ، أرسله إلى مؤتمر اليونسكو ، وهو الموضوع الخاص الذي سيتحدث فيه ، وقد ناقش فكرة المذاهب الأدبية المختلفة في «أدب الاعترافات» ، وخلاصة رأى الدكتور في هذا الموضوع : أن الأديب إذا ما وضع يده على الورق ليكتب فإنما هو يحس أن من ورائه قارئا ، ولا يمكن مطلقا أن يكتب شيئا ليدخره لنفسه ، وعلى هذا الأساس وما دام هو يحس أن ما يكتبه سيذاع على الناس ، فهو يتجمل ، ويحاول أن يلبس الوقائع والاعتراف الثوب الذي يجعلها مقبولة لدى القراء ، وهذا « القبول » يختلف باختلاف الكتاب ، فمنهم من يحب أن يواجه الجماهير على طريقة جريئة مكشوفة أمثال جان جاك روسو ، ومنهم من يحب أن يكون مقنعا كأندريه جيد .. وهكذا

وقد أكد لي الدكتور طه وهو يروى لي وجهة نظره في هذا الموضوع أن أيا من الكتاب : روسو ، جيد ، أوسكار وايلد ، إنما كان ينظر إلى القارئ وهو يكتب فصول اعترافاته

أدب القصور

ظهر في خلال هذه الفترة الأدب البغيض الذي كان قد اختفى منذ عهد طويل ، ذلك هو أدب القصور

كان الأدب قد تحرر من سلطان الأمراء والملوك والخلفاء ، وجرى طليقا ، على نحو من الوطنية والقوة والصراحة

ولكن النفاق عاد فاستشرى ، فأصبح اسم الملك السابق ، يجري في كل قصيدة وفي كل مناسبة ، وبدون مناسبة على صورة لم ينلها عمر بن الخطاب ، ولا خالد بن الوليد ، ولا نابليون

وكانت مناسبات الأيام السوداء في الميلاد والجلوس وغيرها ، تحفل الصحف والمجلات والإذاعة بتلك القصائد المصنوعة التي لا تصدر من القلب ولا من العاطفة الخالصة ، ولا من الإيمان العميق

وكانت هذه أدوات الزلفى ، وقادم الراغبين في الوصول إلى غاية أو غرض ، ونشرت دواوين ، وكتب ومؤلفات ، وحمل أصحابها أرق الألقاب ، و... ومات هذا الأدب كله ، وانطوى ، وأصبح صفحة سوداء في تاريخ الذين وضعوه .. وإن جاءوا بعد ذلك ليقولوا قصائد أخرى ، في مدح العهد الجديد ... وبعد فنقولها كلمة صريحة : إن الشعراء الذين لوثوا أقلامهم في آثام العهد الماضي ، وكذلك الكتاب .. يجب عليهم أن يتواروا ...

لا صدارة الآن إلا للأقلام النقية التي لم تلوث ، تلك التي احتفظت بطهارتها ونقائها في وسط العواصف والأنواء

أنور الجندي

البريد الأدبي

المصدر صحيح

صاغ الأستاذ المفتن « الزيات » رائعة من روائعه فيها جلال الذكرى ، وجمال الوفاء ، ومنها لطف العتب وحسن الاعتذار ، فقد ألفت مجلته الخالدة شتات الألوان فى ألفة « الألف » ودفعته الفرحة إلى التنويه ببلوغها بعد تبليغها ، وساق تاريخها مساق الحقيقة ، لكنه عنف حين عرض للخارجين على رسالته ونال منها حتى جعلها « معتلة .. » !

إن الاعتلال عرض عام يشترك فيه كل كائن ، لكنه حين يتناول المبادئ لا يبلغ هذا المبلغ ؛ فالبدأ أخو العقيدة ، والعقيدة أصل الكيان ، والكيان لا يمكن أن يعتوره اختلال إلا إذا فسد أصل من أصوله ؛ وفساد الأصل يتحقق بتحقيق دواعيه ؛ وقد عاشت الرسالة ثلثى الألف وهى مسددة الخطا مبرأة من العيب بالغة الهدف ، راغبة فى الحق ، مرتفعة عن الباطل . فكيف يمكن الحكم باعتلالها وكيانها صحيح ؟

لقد قسا أستاذنا «الزيات» على رسالته لكنه بَرٌّ فى قسوته . فلا شك أنها كانت ولا زالت ، ينبوعا فياضا تغترف منه النهى أصول المعرفة ، واتخذت طابعا يطبعها بالاتزان ، والوقار ، والأناة ، وحسن التأدى ، وجودة التخير ، وهى هى فى اتسامها بتلك السمات لا تنحرف ، ولا تنقاد ، ولا تميل مع الأهواء حيث تميل !

إن المشتق والمصدر فرع عن أصل ، والأصل لا زال سليما معافى لم يثقله غير الكفاح فى سبيل تحقيق المبدإ السامى الذى يدور حول سيادة لغة الضاد فى إعزازها ، والاعتزاز بها ، وهذا ممثل فى كل صفحة من صفحات الرسالة . إن مجلتك أيها الرجل الحصيف قد كفت عن الابتذال ، لأنها عفت عن النال ، وارتفعت بقوامها وقومها لأنها تأبى الإسفاف والانحراف ، فحسبك ما ترى ونرى ، ترى إشماعها ، ونحن نرى أضواء هذا الإشماع !

بور سعيد — أحمد عبد اللطيف بدر

الفتاة وجور الجاهلية الأولى

نحن فى القرن العشرين ، ولكن يظهر أن الدنيا تغيرت وشمل هذا التغيير مخلوقات الله جميعا ماعدا الفتاة . فالفتاة لم تزل إلى اليوم أشبه بالتركة البغيضة ، والسلعة البائرة ، والمتاع المهين المهين . ويظهر أن للعقلية التى كانت تسيطر على أجدادنا منذ عشرات الأعوام فحسب ، كانت امتدادا لعقلية الجاهلية الأولى ، ولذلك نرى تصرفاتهم تصر على اعتبار الفتاة من سقط المتاع ، وكمية مهملة لا قدر لها ، وإلا فلم حرموها الميراث وأوقفوا أملاكهم على الذكور دونها ، كأن الله لم يخلقها لتعيش كريمة سعيدة وإنما خلقها لتهون وتشقى ، وتذوق الأمرين فى ظل شريعة العقول الرجعية الآسنة ؟ وإن تعجب فعجب لهؤلاء الأجداد المسلمين الذين كانوا يؤدون شعائر الدين ، ويفهمون تعاليم الإسلام كيف جاز لعقولهم أن تتنكر لنظام الشريعة العادلة ، وتتمرد على نظم قوانينها فى الميراث ، ولم تجئ هذه القوانين إلا وفق العدالة الاجتماعية . وكيف فات هؤلاء أن البنت أقرب الرحم إليهم ، وأن الله سائلهم عن هذه الرحم التى اشتق لها اسما من أسمائه ، ووعد بأن يصل من وصلها ويقطع من قطعها كما فى الحديث الشريف المشهور . أجل إن الله سائلهم عن هذه الرحم كما جاء فى الآية الأولى من سورة النساء

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا» لسنا ندرى كيف جاز لعقول هؤلاء الأجداد ، ما داموا مسلمين ، أن يتمردوا على الإسلام فيتنكبوا طريقه ، ويتمردوا على قوانينه العادلة التى اعتبرت الفتاة مخلوقا له وجوده وكيانه فأعلنت حقها فى الميراث بجانب الذكر ، وتوعدت المتمرد بغضب الله وشديد عذابه

«للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر ، نصيبا مفروضا » « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين . . » « تلك حدود الله ... ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين »

وبعد.. فنحن الآن فى موكب التحرر ، وأظن أن الفرصة قد سنحت لمحق هذه البدعة المقيتة ، بدعة حرمان الفتاة من الميراث ،

هذه البدعة التى لايقرها عقل ، ولا ترتضيها شريعة ، وأملنا أن ينالها التطهير فى هذا العهد المشرق الجديد

الإسكندرية نفيسة الشيخ

الصحافة الأدبية فى العراق

قرأت فى الرسالة الغراء (عدد ٩٩٨) كلمة قصيرة للزميل الأستاذ عبد القادر الناصرى عن « الصحافة الأدبية فى العراق » وكنت ، وأنا أطالع تلك السطور أتوقع أن أجد تحليلا دقيقا لصحافتنا الأدبية وأسباب تأخرها والعمد التى يمكن أن تقوم عليها نهضة أدبية شاملة .. ولكنى لم أجد إلا أمورا شخصية : اتصل به بعض شعراء البحرين والكويت والقطيف وعدن . . . واستفسروا منه ، وقابل بعضهم وتجادل معهم (وذكر أسماء من قابلهم) ... الخ ... ثم تطرق إلى موضوع امتياز مجلة أدبية طلب إصدارها ففشل وثمة توضيحات أريد أن أذكرها :

(١) ليس السيد الناصرى هو أول من قدم طلبا لإصدار مجلة ثم فشل، هناك كثيرون غيره قدموا طلباتهم ومازالوا ينتظرون، وهؤلاء لا يقلون كفاءة عنه ، وإخلاصا لما أقدموا عليه

(٢) وجه الكاتب لوما وتقريعا إلى السلطات التى لم تمنحه الامتياز ، وكان يجب عليه ألا يشغل نفسه ويتعبها بذلك . إننى لا أريد الدفاع عن مديرية الدعاية العامة عندنا ، عفواً ، فهى دائرة لاتعمل إلا بإيحاء من رجال الحكم ؛ وهى لاتعطى امتيازا لشخص إلا بعد أن يثبت تعلقه وإخلاصه لرجل من رجال الحكم ، أو الولاء لأية وزارة تأتى إلى الحكم ، ولكنى كنت أود ألا يهتم الزميل بمثل لهذه الأمور التى أصبحت بديهية ومعروفة

(٣) قال (بعدم وجود مجلة أدبية راقية تمثل الأدب العراق المعاصر خير تمثيل تستحق أن تكون سفيرا بيننا وبين البلدان العربية الأخرى) وهذا صحيح ، وكان الأحرى به أن يذكر أن هناك مجلات تمثل الأدب العراق المعاصر ، صدرت ، ولكنها لم تر النور كثيراً ، وأن يذكر العوامل التى أدت إلى ذلك

(٤) أفهم من كلمته أن ليس فى العراق مجلة أدبية ، بينما كان الواجب أن يوضح ذلك مع ذكر الصحف الأدبية التى تصدر فى « النجف » هذه الصحف التى تغالب الصعوبات وتقاوم « الاحتجاب » ! فمجلة (الغرى) مثلا مجلة أدبية راقية ينشر فيها كتاب العراق ومؤرخوه ، وهى لا تقل نجاحا وقوة عن المجلات الأدبية الصادرة فى لبنان ومصر ؛ كما تعتبر (البيان) منبرا حرا لآراء الشباب وأفكارهم

وكان بودى أن أذكر تأريخ الحركة الصحفية فى العراق اعتبارا من عهد الاحتلال البريطانى حتى اليوم ، لولا أن ذلك يحتاج إلى شرح مسهب ووقت ليس قصيرا مما قد أفرد له مقالا خاصا فى وقت آخر . غير أن من الضرورى أن أبين العوامل التى يمكن أن تقوم عليها صحافة ونهضة أدبية مباركة :

(١) أرى أن العامل الأول هو توفير مطابع راقية تقوم بطبع الصحف الأدبية بأجور بخسة ، على أن تقوم بهذه المهمة دور للنشر والطباعة يعتمد عليها . وهذا عامل له أهمية فى صحافتنا الأدبية التى تعانى غلاء الورق وأجور الطباعة الباهظة

(٢) رأس مال ضخم أو مناسب لإصدار صحيفة راقية يمكن أن تصمد طويلا أمام العقبات ، مع مساعدة (جمعية الصحفيين) لها فى حالة (الركود !) إذ الصحف الأدبية عندنا ليست كالسياسية اليومية التى تعتمد أكثرها على مساعدات و (مخصصات سرية) تعينها على (البقاء) !

(٣) تأليف الجمعيات للأدباء والشعراء وإنشاء النوادى لهم وجمع التبرعات والقيام بإصدار مجلة خاصة لهم

٤) إفساح المجال لأقلام الأدباء والشعراء وإنتاجهم ، وإعطاؤهم الحرية الكاملة للتعبير عن أفكارهم، وتشجيع الأكفاء منهم باستمرار ، ومساعدتهم بشتى الوسائل

٥) نتاج متين قوى ؛ وأحسب أن هذا موجود فى العراق فى أى وقت .. فهناك مواهب وقابليات كامنة ، لاتزال (بالقوة) ولم تخرج إلى الفعل بعد ! مع أهمية انصراف الأدباء والشعراء لأدبهم وفنهم ، والخروج من وظائفهم الحكومية التى تحد من نشاطهم وحريتهم

إن هذا لا يمنعنا من القول أن قيام نهضة أدبية ناجحة فى العراق ليس أمرا بعيدا ، بل على النقيض نجد الجهود اليوم تتضافر للعمل لخلق تلك النهضة . وفى رأيى أننا يجب أن نتفاءل فأمامنا طريق طويل يجب أن نعبده بأيدينا وجهودنا

بغداد فؤاد البعلى



من الأدب الايطالي

عـــدو ...

كان جالساً في حجرة المطالعة إلى نضد بجوار النافذة شارد اللب، مشتت الخاطر، يحدق في الفضاء المترامي أمامه لا يثبت شيئاً ولا يحققه، وقد اضطربت في رأسه خواطر .. خواطر سوداء يريد أن يطردها بما ينفثه من دخان سجائره. كان كذلك حين نادته زوجته من خلف الباب: « بيترو! بيترو؛ أأستطيع الدخول؟» ثم .. ثم دفعت الباب في رفق وهي تقول: « أرجو أن تعيرني سمعك قليلا. سأقص عليك خبرا هاما » وتقدمت في هدوء وهي تلوح بمنديلها تطرد به سحب الدخان المتكاثفة هنا وهناك: لقد أفرطت في التدخين يا بيترو، وهو يهد من كيانك. لماذا تجلس صامتاً في الظلام؟ وكان ثوبها الحريري الجميل يحف جفيفاً خفيفاً، وقرطها الماسي يشع نورا؛ وكانت هي تبدو أنيقة جذابة لأن هذا اليوم هو يوم الاستقبال ...

وزفر الزوج زفرة عميقة ثم نظر إلى زوجته وهو يبسم في تهكم ويقول: « لماذا رتبت شعرك بمثل ما أرى وقد جاوزت سن الفتاة؟» فاضطربت شفتاها وقالت: « إن شعري لا يلبث أن يتشعث، ولكن لابد للمرء أن يبدو أنيقاً حين ينتظر قدوم الزائر»، وفي لهجة السخرية قال: « حقا. إن هذا اليوم عظيم. إن النواقيس لا تنفك ترن رنينها العذب ... »

واقتربت الزوجة رويداً رويداً من زوجها وقالت وهي تبسم في رقة وقد طرحت وراءها كل تهكماته: « أتعرف سالفيتي القانوني الشاب؟ إن أمه كانت هنا اليوم؛ أفهمت ما أعني؟ »

فقاطعها الزوج في جفاء وقال: « لا، أنا لا أعرفه »

« إنك تذكره تماماً! القانوني الشاب! إنه يبدو أنيقا رقيقا! »

« أنا لا أذكره »

وفي الحق لقد كان بيترو يعرف الشاب، ولكن أي قوة على الأرض تستطيع أن تنتزع من بين شفتي هذا العنيد اعترافا؟ فقالت الزوجة في رقة: «لا بأس فأنا موقنة بأنك ستذكره حين تراه. لقد أسهبت أمه في وصف ابنتنا إيلينا بصفات الجمال والكمال والرقة والأنوثة و... ثم راحت تطلبها زوجاً لابنها الشاب في رجاء واستعطاف فوافقت، وسيزورك زوجها بعد..»

« وافقت؟ أحقا ما تقولين؟ »

وصاحت المرأة: « بيترو، أي زواج خير من هذا الزواج؟ وإيلينا تهوى الفتى! »

وانتفض الرجل كمن مسه طائف من الشيطان يرعد ويزأر هائجاً مضطربا « وكيف؟ كيف استطاعت الفتاة أن تغرم بهذا الشاب؟ أين تلاقيا؟ أريد أن أعرف ... وأنت ... أنت التي لا تعرفين معنى الأمومة، كيف تركت لها العنان لتندفع في طريقها طائشة؟ هيه! نعم! لقد سمحت لابنتك أن تحب رجلا لا أعرفه. لعلهما تراسلا أيضا! ولعلك كنت واسطة بينهما! لقد تمت القصة وعلى عيني ستار كثيف أسود! »

واضطربت المرأة، وخارت قوتها، وطار عنها ثباتها، فغطت وجهها بيديها تخفي بعض خجلها، وتستر ضعفها النسوي المنسكب من عينيها، ثم راحت تنتزع الكلمات من بين شفتيها انتزاعا: « لا لا يا بيترو، لقد ظننت أني أحمل إليك بشرى، لماذا أنت كذلك؟ لماذا؟ ماذا اقترفنا، وأي غرابة في ذلك؟ شابان راق كل منهما في نظر صاحبه فتعلق أحدهما الآخر وأحبه، وبادله الآخر حبا بحب وغراما بغرام؛ أليس هذا ما كان بيننا يا بيترو؟ أنت ظالم »

وكان الرجل ظالما، وبدأ في جلسته مهموما مضطربا، وقد تدلى رأسه كأن فيه ثقل جبل، وكانت أفكاره تضطرم اضطراما، وأحس كأنما يعاني ألما ممضا؛ وحين كبح جماح غضبه ارتد هذا في جسمه فتوراً واستخذاء، واستيقظ ضميره يخزه وخزات شديدة تؤلمه، كما آلمته أعصابه المضطربة من قبل. نعم لقد أحب سليليا وهام بها، فسعى إليها وقد اختارها لنفسه، ثم ... ثم فاز بها بعد طويل عناء. أنها قصة غرام قديم ... قديم منذ نيف وعشرين سنة؛ ولكن الحقيقة لا تهزم، وعلى رغم أن العقد الثالث من عمر سليليا قد انفرط منذ زمان إلا أنها لا تزال جذابة جميلة. أما هو ... وهو يحبو للخمسين يبدو للعين كمن جاوز السبعين، أما قلبه فما برح شابا يؤمن بالحب، ويحبوه بما في رأسه ويديه معا،

لذلك . . . لذلك كان الرجل ظالما

وحين ترامى له فى خياله كل ذلك تقارظته الهموم فصاح : « سليليا ، أعصابى ! ... دعى هذا الأمر الآن ... »

وكفكفت المرأة عبرات الخيبة فى صمت ، ثم انطلقت إلى ابنتها حزينة كئيبة تحدثها الحديث كله ، وتقف فى طريقها إلى أبيها الثائر خشية أن يقع فى أمر . وساد صمت رهيب حين علم الجميع أن أعصاب الأب تضطرب، فأمسك فرنسسكو عن العزف على البيان ، وتركت لوشيانا لعبتها ، وصمت بيبينو الصغير عن استذكار دروسه ، حتى الخادم المسكينة ، خففت من وطئها وهى تعد المائدة لئلا تزعج سيدها ...

وعلى المائدة جلس الجميع فى سكون ، وبدت إيلينا قلقة جزعة وقد سيطر عليها اليأس ، واضطربت الشوكة فى يدها فسقطت ، فى سذاجة الطفل التقطها بيبينو وهو يبسم ، ثم انفجر ضاحكا ، وضحكت لوشيانا ، ثم فرنسسكو ، حتى الأم الحزينة افتر ثغرها عن ابتسامة خفيفة . وغاظ الزوج ما رأى ، فأراد أن يخمد هذه الزوبعة فى خشونة وغلظة ، فنظر إلى زوجته ومن عينيه يتطاير شواظ يتقد وقال : « أعدى ملابسى ، سأسافر غدا إلى قريتنا .. قريتنا فالـكونيتو » ، وذعرت الزوجة وتردد نظرها حائرا بين الزوج المحنق وبين الفتاة وهى تتلق الصفعة القوية . وأدرك الجميع ما أراد الأب ، فأطرقوا فى حزن إلا بيبينو الصغير ، فقد لمعت عيناه بالفرح . . . فرح التلميذ الصغير ينتظر الإجازة . . . فأشار إليه الأب : « أمسرور أنت لأننى ذاهب ؟ » فارتعد الطفل وقال « لا . لا يا أبى ، حقا لا ! »

وانطلق الأب والزوجة تقول له فى صوت ضعيف : « أتعود قريباً ؟ لا بد أن تفكر فى هذا الأمر » فقال : « أى أمر ؟ » قالت : « زواج إيلينا ! إن ذهابك معناه الرفض والتحدى معاً . إن سعادة ابنتك فوق كل عمل فى فالـكونيتو » ولـكنه كان فى ثورته يبدو عنيدا فقال : « لا جرم أن المرأة حين تفكر فى الحب تراه فوق كل عمل وإن كان عظيما ! »

لم يكن العمل هو الذى دفع الزوج إلى القرية ولم تكن الرغبة ، وإنما كانت النفس الشريرة التى فيه هى التى أرادته على أن يسئ إلى أهله

وصاحت الزوجة : « بيترو ، لا تذهب ... » غير أن الرجل اندفع لا يلوى على شئ . حتى إذا كان لدى الباب التفت إلى ورائه فرأى ... رأى أبناءه فى إطراق حزن ، وصمت مؤلم ، وما هم أحد ليودعه ، فقال له ضميره : « أرأيت . . أرأيت أسرتك المحبوبة كيف تتركهم عبيداً أذلاء ؟ »

وعند انبثاق الفجر كان الزوج فى طريقه إلى القرية

* * *

جلس بيترو وحيداً إزاء المدفأة فى بيت قديم له بالقرية ، وخياله عند الجماعة الذين خلفهم هناك فى المدينة ؛ وبدت نفسه رفيقاً له يحدثه : « كأنى أسمع الزوجة تقول لابنتها : أمغتبطة أنت يا إيلينا ؟ فتنطوى الابنة على هم ، ونفسها تضطرم أسى ولوعة . وكأنى بالأولاد من حولها يمرحون ويقولون : ما أجمل المكان حين يرتفع عنه هو ... هذا الـكابوس هذا الـكابوس هو أنت ... أنت الذى لا يحبك أحد ، ولا يسر لمرآك طفل ... أنت الشبح المخيف ... إنهم يكرهونك ويمقتونك ... عجيب هذا ؟ كيف مرت الأيام وأنت تورث الفكرة فى أذهانهم عن جهل منك وغفلة ؟

لقد كان وحيداً ، ولـكنه كان هادئاً يستطيع أن يشعر نفسه الأخطاء التى ارتكبها ؛ ويستطيع أن يرى بعينى عقله ثمار القسوة والغلظة وهى مرة كريهة . واستيقظ ضميره مرة أخرى يؤنبه بكلمات لاذعة قاسية ، وحكم هو على نفسه حين نشر على عينيه تاريخ أعوام مضت . لقد كان إلى عهد قريب هادئ الطبع حلو الشمائل ، رقيق العاطفة ، طيب القلب ؛ وحين أحس مصباح الحياة ينطفئ أمام عينيه لمس هو الظلام فى كل شئ ، وراحت أعصابه تضطرب فما يقوى على ضبطها . ماذا جنت زوجته وهى رقيقة عذبة الحديث عطوفة رحيمة طيعة ؟ وماذا جنى هؤلاء الأطفال الأبرياء ليرى هو الهفوة الهينة منهم كبيرة لا يكفر عنها إلا العقاب الشديد ؟ ثم ماذا فى هذه الأعصاب الفانية المضطربة ؟ لقد كانت رسول الشؤم والظلام فى هذه الدار وأهلها آمنون »

هذه هى النهاية ... !

وطلعت أيام الشباب فى خياله تذكره قصة الماضى . . فرأى أسرته جميعاً تنهد فرقا من ذكر أعصاب الأب المضطربة ، تلك

الأعصاب الطالة التي وقفت سدا منيعا في سبيل زواج كبرى بناته ، والتي أرغمت الصغرى على أن تتخذ خماراً وقد سيطر عليه الشك ؛ ثم هي أخرجت أكثر أبنائه من الدار لا يملك سلاحاً يسد به الرمق ، وبيترو .. بيترو نفسه قاسى ويلات ما منته به هذه الأعصاب التالفة . لقد كانوا يكرهون الأب ويمقتونه ، لما يرون فيه من الظلم والأنانية ، وكان بيترو نفسه يقول : « آه ، لو أن لى ولدا فقسوت عليه بمثل هذا لخنقت نفسي بيدى هاتين .. » أما الآن ... أما الآن فقد تراءى له ما يضطرب في خواطر أبنائه هو جميعا ، وأحس بما يضمرون له من المقت والكراهية

ليته يستطيع أن يطرح عن نفسه ذلك كله ليرجع إليهم وادعا هادئا رقيقا ... وشغلته الفكرة وتصرمت أيام

ووافته الزوجة وهي تقول : « ما كنت لأجرؤ على المجئ ولكن . . . أنت مريض . . . أنت مريض حقا » ثم راحت تبكي في صمت

وكان هذا الصراع النفساني قد أنهك الرجل فهو ذابل ذاو شاحب اللون ، مضطرب لا يكاد يستقر ، غير أنه قال في لطف « علام تبكين ؟ هل الأسرة بخير ؟ » قالت : « أنت . أنت . . يجب أن تعود إلينا » قال : « نعم يجب أن أعود .. أعود إكراما لابلينا ، يجب . . ولكنني أجد الراحة واللذة هنا ، وعندى هنا ما يشغلنى ... يجب . . . لأن إبلينا سأكتب إليها »

وكتب :

ابنتي العزيزة ؛ أنا أوافق على زواجك من السنيور سالفيتي ، لك تمنياتي الطيبة وحبي الطاهر

« أبوك »

وناول الزوجة الورقة وهو يقول : « أفي هذا ما يكفي ؟ » قالت : « كفى .. ولكن بيترو ، ماذا وراء الباقي ؟ الجهاز . الناس . الزفاف .. لا يمكن أن ترفض ! »

وتناسى الرجل عن حديثها حينا ثم نظر إليها وهو يقول : «إن القطار يتحرك في الثالثة تماما»

« وأنت ... ؟ »

« سأرافقك إلى المحطة »

وانطلقا جنبا إلى جنب وذراعا في ذراع والزوجة تقول : « تعال معي يابيترو ، تعال إلى دارنا تعال ! لا تبذر فينا غراس الشقاء بفراقك ! »

فقال الرجل في هدوء : «سأظل هنا مابقى لي من العمر لأنكم تشقون بي ، سأعيش هنا »

— « وحيدا ! »

«نعم، هنا ، إنني أريدكم هانئين سعداء»

— «وكيف.. كيف نكون سعداء وأنت هنا ونحن هناك يتامى وأرملة ؟ »

ثم راحت تندب حظها الأسود العاثر

قال : الرجل « إن كل من في الحياة يحمل قسطه من المتاعب والأحزان ، وفي كل دار عدوها ؛ فالفاقة والرذيلة والسقوط كل أولئك أعداء ؛ أما دارنا ففيها عدو من نوع آخر هو.. هو أنا ، هذا ما أعرفه وأوقن به ، وليس لي من العزم ما أستطيع أن أخرج عن طبعى هذا . . . عن قسوتي وغلظتي ، ولا أريد أن أبذر في أبنائي غراس العداوة والبغضاء لي ، لهذا ... لهذا فأنا لا أستطيع أن أرجع إلى داري ... لن أرجع ... لن أرجع حتى أبرأ »

وبدا لعيني المرأة مراد زوجها ، ووضح لها ما يريد ؛ فقالت في عطف وشفقة : « سأبعث إليك بفرنسسكو أو سالفيتي فهو فصيح اللسان قوي الحجة »

وراحت تودعه في حرارة وشوق وقد أشرق في نفسها تاريخ السعادة الأولى حين شبا حبيبين ، وهي تقول : « وسأرسل فرنسسكو يابيترو ، فهو رحيم ، وهو يحبك ؛ يحبك على رغم كل شئ لأنك أبوه » ثم صعدت إلى القطار

ورجع الزوج يتثاقل كأنما يحمل على ظهره حملا ثقيلا، وتراءى له ابنه الأكبر في الخيال يستعطفه ويرجوه ويجثو عند قدميه يبكي ويبكي ... فيصغى هو ، فيلين ، فيلبي ... ثم يرجع ويرجع معه العدو الذي فيه ، فتضطرب الدار ويفزع الأبناء . أين الخلاص ؟ وبدا له الخلاص وهو يسير على حافة هوة عميقة ، في خطوة ... خطوة واحدة يتقدمها في ثبات وعزم ، فأغمض عينيه وسار ...

* * *

وخرج فرنسسكو ليعود بأبيه فما عاد إلا بقصاصة ورق تحمل إليه النبأ المفزع ... موت أبيه

ك . ع

مطبعة الرسالة